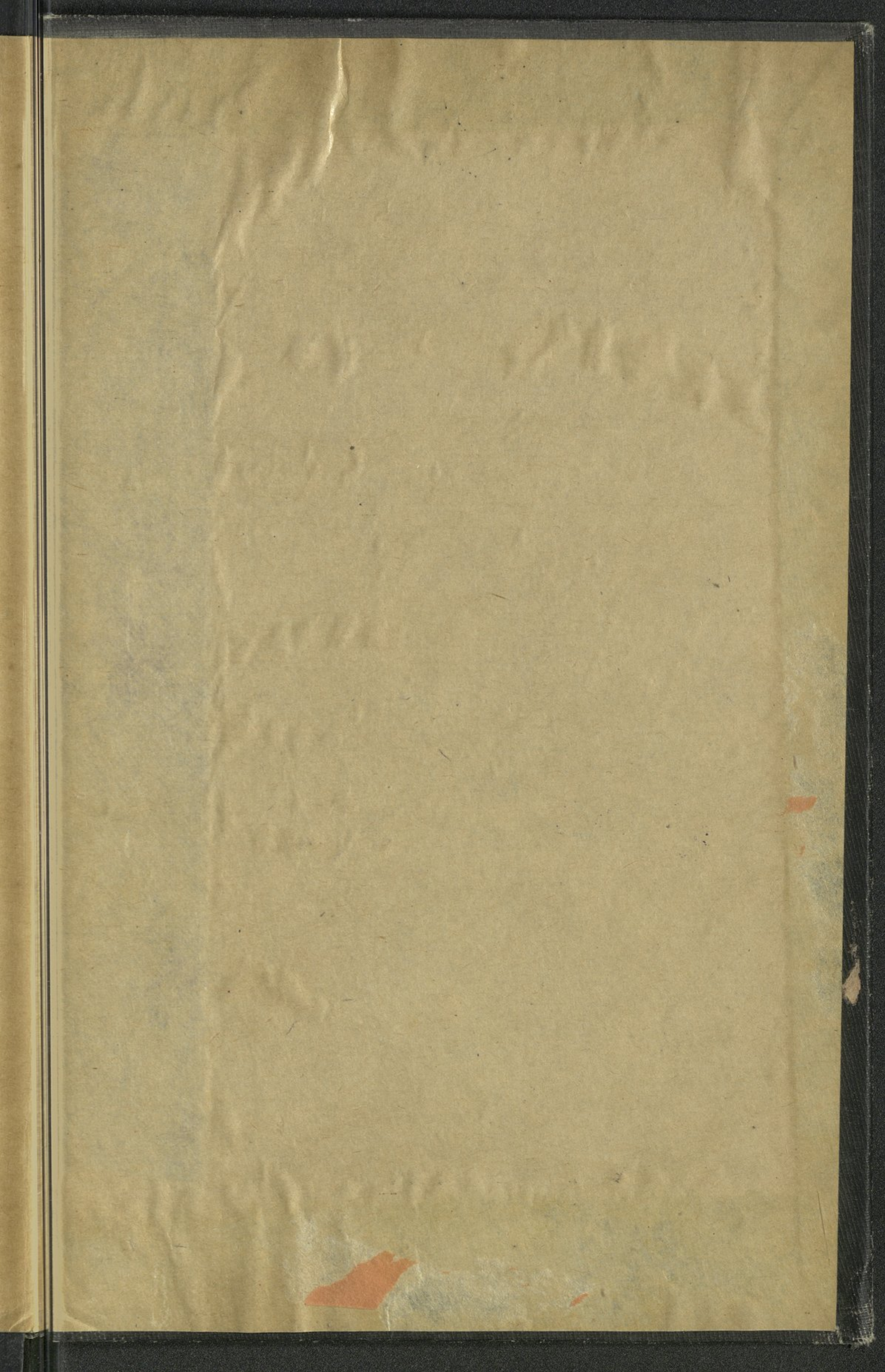
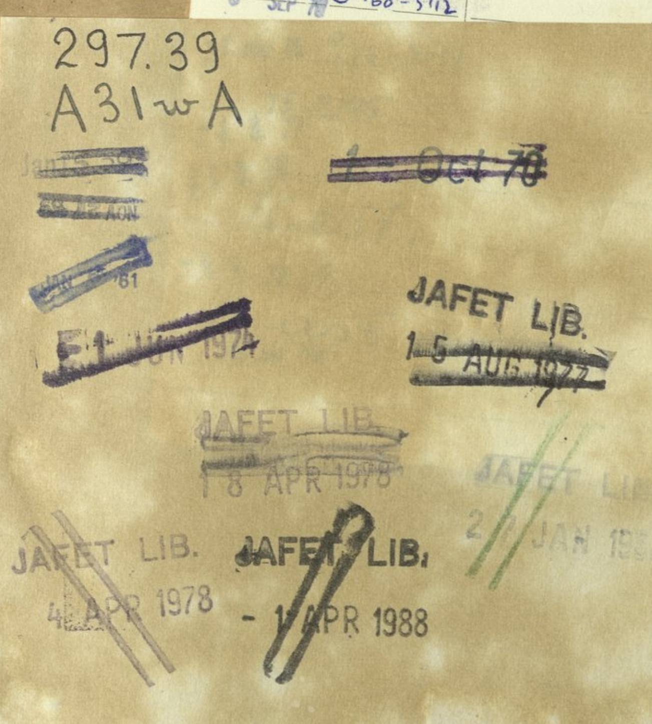
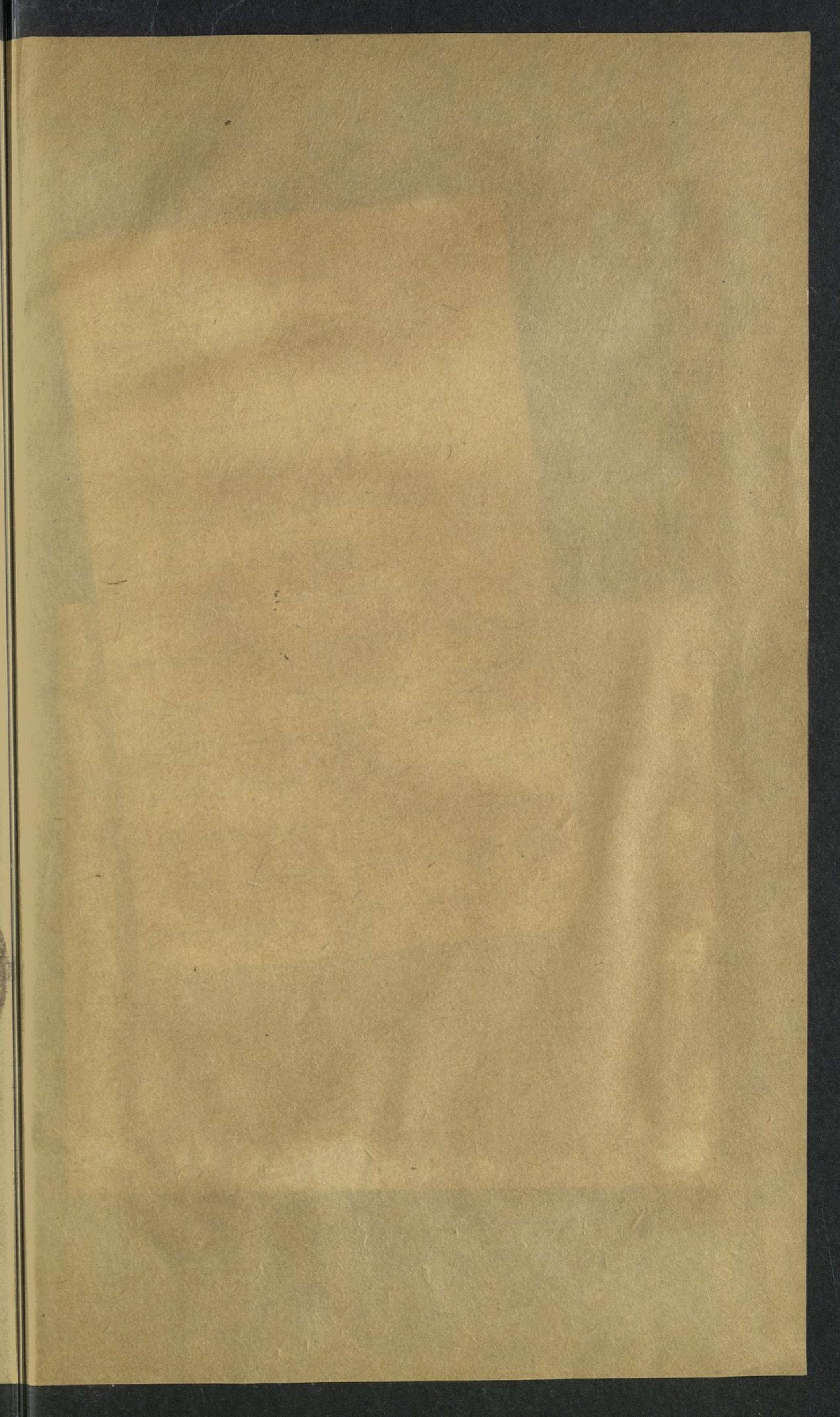
وجوب التعاون بين المسلمين

آل سعدي





297.39
A31wA
1 Oct 78
JAN '61
1 JUN 1974
JAFET LIB.
15 AUG 1977
JAFET LIB.
18 APR 1978
JAFET LIB.
JAN 1988
JAFET LIB.
4 APR 1978
JAFET LIB.
- 1 APR 1988



وجوب التعاون بين المسلمين

وموضوع الجهاد الديني

وبيان كليات من براهين الدين

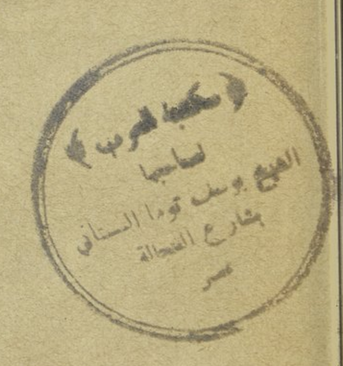
تأليف

العلامة الاستاذ

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي

علامة القصيم بعنيزة نجد

طبع على نفقة المؤلف



١٣٦٨

المطبعة السلفية - ومكتبتها



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * أحمده على ما له من صفات العظمة والكبرياء والجلال * وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة فى جميع الاوقات ، وفى الغدوّ والآصال * وأصلى على محمد أكمل الخلق فى جميع الخصال * اللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وأشرف آل * وعلى التابعين لهم فى العقائد والأخلاق والأقوال والأفعال * وسلم تسليما

أما بعد فهذه رسالة تتضمن التنبيه على واجب المسلمين نحو دينهم ، ووجوب التعاون بينهم فى جميع المصالح والمنافع الكلية الدينية والدنيوية ، وعلى موضوع الجهاد الشرعى ، وعلى تفصيل الضوابط الكلية فى هذه المواضيع النافعة الضرورية ، وعلى البراهين اليقينية فى أن الدين عند الله هو دين الاسلام

وجوب التعاون على جميع المنافع الكلية وخصوصا الجهاد

قال الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ فالبر اسم جامع لكل ما أمر الله به ورسوله ، وأحبه الله ورسوله ، من التحقق بعقائد الدين وأخلاقه ، والعمل بآدابه وأقواله وأفعاله ، من الشرائع الظاهرة والباطنة ، ومن القيام بحقوق الله وحقوق عباده ، ومن التعاون على الجهاد فى سبيله اجمالا وتفصيلا ، فكل هذا داخل فى التعاون على البر

ومن التعاون على التقوى التعاون على اجتناب وتوقى ما نهى الله ورسوله عنه من الفواحش الظاهرة والباطنة ، ومن الاثم والبغى بغير الحق ، والقول على الله بلا علم ، بل على ترك الكفر والفسوق والعصيان . ويدخل فى ذلك التعاون على جميع الوسائل والأسباب التى يتقى بها ضرر الأعداء ، من الاستعداد بالاسلحة المناسبة للوقت ، وتعلم الصنائع المعينة على ذلك ، والسعى فى تكميل القوة المعنوية والمادّية المعينة على ذلك . قال تعالى ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ فيدخل فى هذا الاستعدادُ بكل المستطاع من قوة عقلية وسياسية وصناعية ، وتعلم الآداب العسكرية ، والنظام النافع ، والرمى والركوب ، والتحرز من الأعداء بكل وسيلة يدركها المسلمون ، واتخاذ الحصون الواقية . وقد أمر الله ورسوله بجهاد الكفار المعتدين - فى آيات كثيرة وأحاديث متنوعة - بالنفس والمال والرأى ، وفى حال الاجتماع ، وفى كل الأحوال . والأمر بذلك أمر به وبكل أمر يعين عليه ويقوّيه ويقوّمه ، وأخبر بما للمجاهدين فى سبيله من الأجر والثواب العاجل والآجل ، وما يدفع الله به من أصناف الشرور ، وما يحصل به من العزّ والتمكين والرفعة ، وما فى تركه والزهد فيه من الذلّ والضرر العظيم ، وتوعد الناكلين عنه بالخذلان والسقوط الحسى والمعنوى ، وبَيّنَ لهم الطرق التى يسلكونها فى تقوية معنويتهم ، فانه حثهم على التآلف والاجتماع ، ونهاهم عن التباغض والتعادى والافتراق . وذلك أن حقيقة الجهاد هو الجد والاجتهاد فى كل أمر يقوّى المسلمين ويصلحهم ويلم شعثهم ويضم متفرقهم ويدفع عنهم عدوان الأعداء أو يخففه بكل طريق ووسيلة

أقسام الجهاد وأنواعه

الجهاد نوعان جهاد يقصد به صلاح المسلمين واصلاحهم فى عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شئونهم الدينية والدنيوية وفى تربيتهم العلمية والعملية

وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه ، وعليه يتأسس النوع الثانى ، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم . وهذا نوعان : جهاد بالحجة والبرهان واللسان ، وجهاد بالسلاح المناسب فى كل وقت وزمان .

هذا مجمل أنواعه على وجه التأصيل . أما التفصيل فنقول :

الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة

قال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وقال ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ وقال ﷺ فى الحديث الصحيح « وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله » وقال « مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد » الى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل العظيم ، فان من أعظم الجهاد السعى فى تحقيق هذا الأصل فى تأليف قلوب المسلمين ، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية ، فى جمع أفرادهم وشعوبهم ، وفى ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة

ومن أنفع الأمور أن يتصدى لهذا الامر جميع طبقات المسلمين من العلماء والامراء والكبراء وسائر الأفراد منهم ، كل أحد يجدّ بحسب إمكانه . فمتى

كانت غاية المسلمين واحدة وهى (الوحدة الاسلامية) وسلكوا السبل الموصلة اليها ، ودافعوا جميع الموانع المعوقة والحائلة دونها ، فلا بد أن يصلوا الى النجاح والفلاح .

ومما يعين على هذا الاخلاص وحسن القصد فيما عند الله من الخير والثواب ، وأن يعلموا أن كل سعى فى هذا الأمر من الجهاد وفى سبيل الله ومما يقرب اليه والى ثوابه . وأن المصلحة فى ذلك مشتركة ، فالمصالح الكليات العامة تقدم على المصالح الجزئيات الخاصة . ولهذا يتعين عليهم أن لا يجعلوا الاختلاف فى المذاهب أو الانساب أو الأوطان داعيا الى التفرق والاختلاف فالرب واحد ، والدين واحد ، والطريق لاصلاح الدين وصلاح جميع طبقات المسلمين واحد ، والرسول المرشد للعباد واحد ، فلهذا يتعين أن تكون الغاية المقصودة واحدة . فالواجب على جميع المسلمين السعى التام لتحقيق الأخوة الدينية والرابطة الايمانية ، فمتى علموا وتحققوا ذلك ، وسعى كل منهم بحسب مقدوره ، واستعانوا بالله وتوكلوا عليه ، وسلكوا طرق المنافع وأبوابها ، ولم يخلدوا الى الكسل والخوَر واليأس ، نجحوا وأفلحوا . فأن الكسل والخور واليأس من أعظم موانع الخير ، فانها منافية للدين وللجهاد الحقيقى . فمن استولى عليه الكسل والخور لم ينهض لمكرمة . ومن أيس من تحصيل مطالبه انشلت حركاته ومات وهو حى . وهل أخر المسلمين فى هذه الاوقات إلا تفرقهم ، والتعادى بينهم ، وخوَرهم ، وتقاعدهم عن مصالحهم والقيام بشئونهم ، حتى صاروا عالة على غيرهم . ودينهم قد حذّرهم عن هذا أشد التحذير ، وحثهم على أن يكونوا فى مقدمة الأمم فى القوّة والشجاعة ، والصبر والمصابرة ، والمثابرة على الخير ، والطمع فى إدراكه ، وقوة الثقة بالله فى تحقيق مطالبهم ، ودفع مضارهم ، وكمال التصديق بوعد الله لهم بالنصر اذا نصروه ، وبالنجاح اذا سلكوا سبله ، وبالاعانة والتسديد إذا كمل اعتمادهم عليه ﴿ إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ﴾

الفرق العظيم بين رجال الدين وبين المخذّلين المرجفين

قال تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا ﴾ هذا نعت رجال الدين : الصدق الكامل فيما عاهدوا الله عليه من القيام بدينه وانهاض أهله ، ونصره بكل ما يقدرون عليه من مقال ومال وبدن وظاهر وباطن . ومن وصفهم الثبات التام على الشجاعة والصبر ، والمضى فى كل وسيلة بها نصر الدين . فمنهم الباذل لنفسه ، ومنهم الباذل لماله ، ومنهم الحاثّ لاخوانه على القيام بكل مستطاع من شئون الدين ، والساعى بينهم بالنصيحة والتأليف والاجتماع ، ومنهم المنشط بقوله وجاهه وحاله ، ومنهم الفذّ الجامع لذلك كله ، فهؤلاء رجال الدين وخيار المسلمين : بهم قام الدين وبه قاموا ، وهم الجبال الرواسى فى إيمانهم وصبرهم وجهادهم ، لا يردّهم عن هذا المطلب رادّ ، ولا يصدّهم عن سلوك سبيله صادّ تتوالى عليهم المصائب والكوارث ، فيتلقونها بقلوب ثابتة ، وصدور منشرحة لعلمهم بما يترتب على ذلك من الخير والثواب والفلاح والنجاح

وأما الآخرون وهم الجبناء المرجفون ، فبعكس حال هؤلاء . لا ترى منهم إعانة قولية ولا فعلية ولا جدية ، قد ملكهم البخل والجبن واليأس ، وفيهم الساعى بين المسلمين بايقاع العداوات والفتن والتفريق . فهذه الطائفة أضرّ على المسلمين من العدوّ الظاهر المحارب ، بل هم سلاح الأعداء على الحقيقة . قال تعالى فيهم وفى أشباههم ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ﴾ أى يستجيبون لهم تغريرا أو اغترارا . فعلى المسلمين الحذر من هؤلاء المفسدين فان ضررهم كبير وشرهم خطير ، وما أكثرهم فى هذه الأوقات التى اضطر فيها المسلمون الى التعلق بكل صلاح وإصلاح ، والى من يعينهم وينشطهم . فهؤلاء المفسدون يثبطون عن الجهاد فى سبيل الله ومقاومة الأعداء ، ويخدّرون أعصاب المسلمين

ويؤيسونهم من مجاراة الامم فى أسباب الرقى ، ويوهموهم أن كل عمل يعملونه لا يفيد شيئا ولا يجدى نفعا . فهؤلاء لا خير فيهم بوجه من الوجوه . لا دين صحيح ، ولا شهامة دينية ، ولا قومية ولا وطنية . لا دين صحيح ، ولا عقل رجيح . فليعلم هؤلاء ومن يستجيب لهم أن الله لم يكلف الناس إلا وسعهم وطاقتهم ، وأن للمؤمنين برسول الله أسوة حسنة ، فقد كان له ﷺ حالان فى الدعوة والجهاد : أمر فى كل حال بما يليق بها ويناسبها ، أمر فى حال ضعف المسلمين وتسلط الاعداء بالمدافعة ، والاقتصار على الدعوة الى الدين ، وأن يكف عن قتال اليد لما فى ذلك من الضرر المربى على المصلحة . وأمر فى الحالة الأخرى أن يستدفع شرور الأعداء بكل أنواع القوة ، وأن يسالم من تقتضى المصلحة مسالمته ، ويقاوم المعتدين الذى تقتضى المصلحة بل الضرورة محاربتهم . فعلى المسلمين الاقتداء بنبيهم فى ذلك ، وهو عين الصلاح والفلاح

وجوب المشاورة فى كل الامور الكلية وفوائدها

قال تعالى ﴿ وشاورهم فى الامر ﴾ وقال فى وصف المؤمنين ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ وهذا يشمل جميع الامور التى يحتاجونها ، وتتعلق بها منافعهم الدينية والدنيوية . فعلى المسلمين أن يتشاوروا فى تقرير المصالح والمنافع ، وفى كيفية الوصول اليها ، وفى تقرير الخطط التى يتعين سلوكها فى صلاح أحوالهم الداخلية واصلاحها بحسب الامكان ، وفى الحذر من أعدائهم ، ومقاومتهم وسلوك الطرق السلمية أو الحربية بحسب ما تقتضيه المصلحة وبحسب الاحوال والظروف الحاضرة ، وأن يعدوا لكل أمر عدته ، وتجتمع قواهم كلها وعزائمهم على ما اتفقت آراؤهم على نفعه ومصلحته ، فان المشاورة من أعظم الاصول والسياسات الدينية ، وفيها من الفوائد : امتثال أمر الله ، وسلوك

الطريق التى يحبها الله حيث نعت المؤمنين بها ، وفيها الاقتداء برسول الله ﷺ فانه - مع كمال عقله ورأيه وتأييده بالوحى - كان يشاور أصحابه فى الامور المهمة ✲ ومن فوائدها أنها من أكبر الاسباب لاصابة الصواب ، وسلوك الوسائل النافعة لاجتماع آراء الامة وأفكارها ، وتنقيحها وتصفيتها . مع أن الله يعينهم فى هذه الحال التى فعلوا فيها ما أمرهم به ويسدّدهم ويؤيدهم ✲ ومنها أن المشاورة تتنوَّر فيها الافكار ، وترتقى المعارف والعقول ، فانها تمرين للقوة العقلية وتربية لها وتلقيح للاذهان واقتباس لبعضهم من آراء بعض ✲ ومنها أنه قد يكون الصواب من مجموع رأيين أو ثلاثة أو أكثر ، واذا تقابل الصواب والخطأ ووزنتها العقول السليمة بالموازين العقلية التى لا تركن إلا إلى الحقائق الصحيحة ظهر الفرق بين الامرين ، ولا سبيل لذلك إلا بالمشاورة ✲ ومنها أن المشاورة من أسباب الالفة والمحبة بين المؤمنين ، وشعور جميعهم أن مصالحهم واحدة مشتركة ، وتنبيه للأفكار والآراء على النافع والانفع ، وعلى الصالح والاصلح ، فان ترك المشاورة يخمد الافكار ويضيع الفرص التى يضر تضييعها . ففتح باب المشاورة عون كبير فى إصلاح الامور واكمالها وتجنب المضار . وقد اتفق العقلاء على أن الطريق الوحيد لتحقيق الصلاح الدينى والدنيوى هو طريق الشورى ، والله قد أرشد المسلمين الى هذا الطريق ، وأن يسعوا فى ترقية أحوالهم بها . وعلمهم كيفية الوصول إلى كل أمر نافع ، فاذا تعينت المصلحة فى أمر سلكوه ، وإذا ظهرت المضرّة فى طريق تركوه ، وإذا تشابهت عليهم المسالك وتقابلت المنافع والمضارّ رجحوا ما ترجحت مصلحته من فعل وترك ، فلا يَدَعون مصلحة داخلية ولا خارجية إلا بحثوا فيها وتشاوروا عليها وعملوا على ما اتفقت عليه آراؤهم ، وبذلك يحمدون ويشكرون ويفلحون

وجوب الاستعداد للاعداء بكل قوة وأخذ الحذر منهم

قال تعالى ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو خذوا حذركم فانفروا ثُبات أو انفروا جميعا ﴾ تضمنت هاتان الآيتان جميع ما يلزم المسلمين في مدافعة الأعداء ومقاومتهم ، وذلك بالاستعداد بالمستطاع من قوة عقلية وسياسية ومعنوية ومادية ، فدخل في ذلك تعلم أنواع الفنون الحربية ، والنظام السياسي والعسكري ، والاستعداد بالقوّاد المحنكين المدرّبين ، وصناعة الأسلحة ، وتعلم الرمي والركوب بما يناسب الزمان ، وبأخذ الحذر من الأعداء بالتحرز والتحصن ، وأخذ الوقاية من شرهم ، ومعرفة مداخلهم ومخارجهم ، ومقاصدهم وسياساتهم ، وعمل الأسباب والاحتياطات للوقاية من شرّهم وضررهم وأن نكون منهم دائما على حذر في وقت السلم فضلا عن وقت الحرب ، فانّ جهل المسلمين بشيء من المذكورات نقص كبير فيهم ، وقوة لعدوّهم ، وإغراء له بهم . فعلى المسلمين الأخذ بكل معنى من معاني الحذر ، وبكل وسيلة من وسائل القوّة والاستعداد ، عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا . فأنّ جهل المسلمين بشيء من ذلك وكسلهم عن العمل ضرره كبير ، وبذلك يكونون عالة على غيرهم ، وهذا عنوان الذل ، فان لله سنناً كونية جعلها وسائل للعزّ والرقي ، من سلكها نجح ، ودين الاسلام يحثّ عليها غاية الحث

الوجوب يتعلق بقدر القدرة والاستطاعة

قال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقال ﷺ « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . فالله تعالى أمر بالجهاد بالنفس والمال ، وبالأقوال والأفعال ، وبالمباشرة واعانة المباشرين ، وبالدعوة والتحريض والتشجيع . وقد

صح عنه ﷺ أنه قال « من لم يغزُ ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » فكل من فى قلبه إيمان فلا بد أن يكون له نصيب من هذا الجهاد وكل أحد فرض عليه أن يقوم بما يستطيعه من ذلك ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ✡ فأهل الحل والعقد والرياسة من الملوك والامراء والوزراء ورجال الدول الأسلامية عليهم أن يسعوا أحثّ السعى لتحصيل القوتين القوة المعنوية والقوة المادية ، وذلك بالسعى لازالة الموانع والحواجز التى حالت بين المسلمين وبين اتفاقهم واجتماع كلمتهم ، وأن يفهموا العوامل التى فرقتهم والأغراض المتباينة التى شتتتهم ، وأن الأيدى الأجنبية تتوسل بذلك لتحصيل أغراضهم ، فمتى فهموها وعملوا على ازالتها بجد واجتهاد فلهم نصيب وافر من الجهاد فى سبيل الله ✡ وعلى أهل العلم من بيان فضل الجهاد ووجوبه ، وتبيين منافعه الضرورية ، وحضّ الناس عليه ، والوعظ العام والخاص ، أعظم مما على غيرهم . وعليهم أن يبينوا للناس أن جميع حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم ونفقاتهم المقوية للدين المعينة للمسلمين فى دفع اعتداء المعتدى كل ذلك داخل فى الجهاد فى سبيل الله ، فمتى عرف المؤمنون موضوع الجهاد وأنه اسم جامع لسلوك كل سبب ووسيلة فى إعلاء كلمة الدين وفى مقاومة الأعداء والحذر والتحرّز منهم نشطوا للقيام به وأخلصوا لله فيه والعمل الخالص نفعه كبير ، وأجره عظيم ✡ وكذلك يجب على كل فرد من أفراد المسلمين أن يبدى مجهوده فى نصر المسلمين بما يقدر عليه من قول وفعل ودعاية وحض لاخوانه عليه ✡ وكل أحد عليه من القيام بوظيفته الخاصة ما ليس على الآخر : فالملوك والأمراء وقواد الجيوش عليهم من الواجبات بحسب مراتبهم ومقاماتهم ، والجيوش العاملة عليها النهوض بوظيفتها والتزام القوة والشجاعة والصبر ، وعلى أهل الأموال بذل ما يحتاج المسلمون اليه فى المنافع الكلية ، وعلى أهل الصنائع النصح والجد فى تعليم الصناعات النافعة للجهاد ، فمتى قام كل أحد بوظيفته لم يزالوا فى رقى وصعود فى دينهم ودنياهم وعزهم وشرفهم

وجوب الاجتهاد فى فعل الاسباب النافعة

مع التوكل على الله والاستعانة به

قد أمر الله فى عدة آيات بالقيام بجميع الأسباب النافعة ، والسعى فى كل وسيلة فيها صلاح الأحوال . كما أمر فى عدة آيات بالتوكل عليه والاعتماد على حوله وقوته . فبالقيام بهذين الأصلين العظيمين تقوم الأمور كلها وتتم وتكمل . والنقص والقصور انما يجىء من الاخلال بهما أو بأحدهما ، فالتوكل الذى لا يصحبه جد واجتهاد ليس بتوكل ، وانما هو إخلاد إلى الكسل وتقاعد عن الأمور النافعة ، كما أن العمل بالأسباب من دون اعتماد وتوكل على مسببها واستعانة به مآله الخسار والزهو والاعجاب بالنفس والخذلان . فالجمع بين التوكل على الله وبين الاجتهاد فى فعل الأسباب هو الذى حثّ عليه الدين ، وهو الذى كان عليه سيد المرسلين ، وبهما يتحقق الايمان ، وتقوى دعائم الدين ، وبهما تقوى معنوية المسلمين ، حيث اعتمدوا على رب العباد ، وأدّوا ما فى مقدورهم من جد واجتهاد

معرفة أحوال الأمم ودرسها ومعرفة سياساتها

داخل فى الجهاد

قد علم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد . ولا يخفى أنه لايتم التحرّز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقى لشرورها الا بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياساتهم ، وخصوصا السياسة الموجهة منهم للمسلمين ، فان السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل

وسائل الاستعباد ، فجهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطـــير ، ومعرفتها والوقوف على مقاصدها وغاياتها التى ترمى اليه نفعه عظيم ، وفيه دفع للشر أو تخفيفه ، وبه يعرف المسلمون كيف يقابلون كل خطر . ولهذا كان من أركان السياسة والقيادة المعرفة والوقوف التام على أحوال الأعـــداء ، فالسياسة الداخلية لا تتم إلا بأحكام السياسة الخارجية

من الجهاد القيام بالقسط والوفاء بالعهود

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ﴾ الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾ الآية . فهذان الأصلان العظيمان — وهما القيام بالقسط الذى هو العدل التام على الأنفس والأقربين والأبعدين والأصدقاء والمعادين ، والوفاء بالعهود والمعاقدات كلها من أكبر أصول الدين ومصالحه ، وبها يتم الدين ، ويستقيم طريق الجهاد الحقيقى ، وتحصل الهداية والاعانة من الله تعالى والنصر والمدافعة . فما ارتفع أحد إلا بالعدل والوفاء ، ولا سقط أحد إلا بالظلم والجور والغدر . وبهذين الأمرين - مع بقية أصول الدين - حصل للدين الاسلامى من العزّ والشرف والرقى وقهر الأمم الطاغية ما لم يحصل لغـــيره . وبهذه الروح — روح الرحمة والعدل والوفاء — وصل الدين الأسلامى الى مشارق الأرض ومغاربها ، ودانت به الأمم المتباينة طوعا وانقياداً ورغبة ، وبتركه انتقض الأمر ، ولم يزل الهبوط مستمراً ، إلا أنه يحصل نفحات فى بعض الأوقات بها ينتعش الدين اذا تشبثوا بشىء من هذه المقوّمات النافعة . ولهذا تجد القوّات والحضارات الهائلة التى يزعم أهلهـــا أنهـا راقية فى كل أحوالها لما كانت مبنية على الظلم والجشع والطمع وعدم المبالاة فى ظلم الأمم الضعيفة ، وكانت إذا قطعت عهودها ونقضت معاهداتها لم تبال بعد ذلك وفت

أوغدرت ، وانما تلاحظ أطماعها الخاصة وأغراضها الردية ولسان حالهم يقول : السياسة مبنية على المكر والخدع والختر والغدر . لما كانت مع قوتها الهائلة مبنية على هذه الأصول المنهارة كانت هذه المدنية المزعومة والحضارة المدّعاة مهدّدة كل وقت بالفناء والهلاك والتدمير ، والواقع أكبر شاهد على ذلك ، فلو أنها بنيت على الدين الحق والعدل واتباع الحق والوفاء بالمعاقدات ونصر المظلومين لكانت مدنية آمنة ، ولكنها فى الحقيقة مادية محضة ، والقوة المادية اذا لم تبن على الحق فانها منهارة لا محالة ، وربما كان سلاحها الفتاك هو مادة هلاكها وعقوبتها

والمقصود أن المسلمين بالمعنى الحقيقى لا يغترّون بقوة هؤلاء الماديين ، وانما يقومون بالعدل التام فى جميع أمورهم ، وبالوفاء الكامل فى حق الصديق والعدو . وهذه الأمور كلها مضطرة إلى التوكل على الله ، والاعتماد على حوله وقوته ، وكمال الثقة به فى تيسير الأمور وتذليل الصعاب ، فيكون المتوكل بعمل بجدّ واجتهاد ، مطمئنا بالله ، واثقا بوعده وكفايته ، لا يرجو غيره ولا يخاف سواه ، لا يملكه اليأس ولا يساوره القنوط ، غير هياب ولا وجل ولا متردّد ، لأنه يعلم أن الأمور بيد الله ، وأن نواصى الخليقة فى قبضته وتحت تدبيره

بهذا التوكل التام والعمل الكامل نال المسلمون الأولون العزّ والشرف والسلطان وصلاح الأحوال . وهذا الذى يجب أن يكون عليه المسلمون الآن ، وأن يكون العمل والتوكل نصب أعينهم ، فلا يميلوا الى التواكل والتخاذل والاخلاد إلى البطالة والكسل ، فان هذا ينافى التوكل الحقيقى غاية المنافاة ، كحال كثير من الناس فى هذه الأوقات : يشاهدون عدوّهم يحاربهم ، ويسلبهم حقوقهم ، وهم ساكتون لا يدفعونه بوسيلة من الوسائل ، ولا يبدون ما يقدرون عليه من مقاومته التى لا يعذرون عن القيام بها ، فتكون النتيجة من هذا السكوت والتقاعد الضارّ ضياع استقلالهم ، وذهاب ملكهم وأموالهم ،

والسيطرة على حقوقهم وحلول المصائب المتنوعة بهم من كل جانب ، ويقولون نحن متوكلون . كلا والله بل هم كسالى متواكلون ، قد استولى عليهم الخور ، وأعقبه الذل واستعباد الأجانب لهم

ربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الاسلامية من الجهاد فى سبيل الله

قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ فمن أهم مسائل الجهاد فى هذه الاوقات عقد المعاهدات ، وتوثيق المودّة والصداقة بين الحكومات الاسلامية ، مع احتفاظ كل حكومة بشخصيتها وحقوقها الدولية وإدارتها داخلا وخارجا والتكافل بينها والتضامن ، وأن يكونوا يداً واحدة على من تعدَّى عليهم أو على شىء من حقوقهم ، وأن يكون صوتهم واحدا ، وتسهيل الامور الاقتصادية فيما بينهم طلبا لمصلحة الكل وتقريب بعضهم من بعض ، وأن يعملوا لهذا الموضوع أعماله اللائقة به المناسبة للظروف الحاضرة وأن يسعوا كل السعى لتحقيق هذا وازالة جميع العقبات الحائلة دونه والمعوقة له . وهذه الامور وإن كانت فى بادىء الرأى صعبة ، وقد وضع الاعداء لها العراقيل المعوّقة ، فانها يسيرة بتيسير الله وقوة العمل مع التوكل عليه . واليوم وان كان المسلمون مصابين بضعف شديد ، والاعداء يتربصون بهم الدوائر ، وهذه الحالة قد أوجدت فى المسلمين أناسا ضعيفى الايمان ، ضعيفى الرأى والقوة والشجاعة ، قد ملكهم اليأس والخور ، يتشاءمون بأن الامل فى رفعة الاسلام قد ضاع ، وأن المسلمين يتنقلون من ضعف الى ضعف ، فهؤلاء قد غلطوا أشد الغلط ، فان هذا الضعف عارض له أسباب ، وبالسعى فى زوال أسبابه تعود صحة الاسلام كما كانت ، وتعود اليه قوته التى فقدها منذ أجيال

ما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ، وتنكبوا السنن الكونية التي جعلها الله بحكمته مادة لحياة الأمم ورقيها في هذه الحياة. فاذا رجعوا الى ما مهده لهم دينهم، وإلى تعاليمه النافعة وإرشاداته العالية، فلا بد أن يصلوا الى الغاية كلها أو بعضها. وهذا المذهب المهين — مذهب التشاؤم — لا يرتضيه الأسلام، بل يحذّر عنه أشد التحذير، ويبين للناس أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسراً، وأن المسلمين اذا عملوا بتقوى الله وبالأسباب التي أرشدهم الله اليها واقتدوا بنبيهم فيها، وصبروا، فلا بد أن يفلحوا وينجحوا. فليتق الله هؤلاء المتشائمون، وليعلموا أن المسلمين أقرب الأمم الى النجاح الحقيقي والرقيّ الصحيح لأن دينهم كله عروج وصعود في عقائده وآدابه وأخلاقه ومقاصده وأسبابه وجمعه بن مصالح الدنيا والآخرة ومنافع الروح والجسد. ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون الآمال بلا قوة ولا اعمال، ويقولون ولا يفعلون فتراهم يتحدثون بمجد الاسلام ورفعته، وأن الرجاء والطمع في ذلك غير بعيد، ولكنها أقوال بلا أفعال، ولا يصحبها سعي لا قوي ولا ضعيف، ولا يقدّمون لدينهم منفعة بدنية ولا مالية، ولا يساعدون على مصلحة عامة كلية. وهذا كله غرور واغترار. ويترتب عليه أنواع من الشرور والمضارّ. وأما رجال الدين الذين هم غرّة المسلمين، وهم رجال الدنيا والدين، فهم الذين أبدوا جدهم واجتهادهم، وقرنوا بين الأقوال والأفعال، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأقوالهم ودعاياتهم، وانهاض اخوانهم، وتبرؤا من مذهب المتشائمين، ومن أهل الأقوال الخالية من الاعمال. قد نهضوا بامتهم، وقصدوا في سعيهم الغايات الحميدة، وسلكوا طريق المجد. فهؤلاء هم الرجال الذين يناط بهم الامل، وتدرك المطالب العالية بمساعيهم المشكورة وأعمالهم المبرورة

الاعتناء بالتربية والتعليم من أصول الجهاد

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ وذلك بالتعليم والتأديب والتربية ، وقال تعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ . وذلك أن من أعظم أصول الأصلاح والجهاد التربية الدينية والاهتمام التام والاعتناء الكامل بشباب الأمة ، فانهم محل رجائها وموضع أملها ، ومادّة قوتها وعزها . وباصلاح تربيتهم تصلح الأحوال ، ويكون المستقبل خيراً مما قبله . فعليهم أن يربوهم تربية عالية ، ويبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة ، والحزم والعزم ، وجميع مبادىء الرجولة والفتوّة والمروّة ، وأن يدرّبوهم على الصبر وتحمل المشاق الذى يفضى الى النجاح والمثابرة فى كل عمل نافع ، ويحذروهم من الجبن والكسل ، والسير وراء الطمع والمادة ، والانطلاق فى المجون والهزل والدعة ، فان ذلك مدعاة للتأخر الخطير . وشباب الحاضر هم رجال المستقبل ، وبهم تعقد الآمال وتدرك الأمور المهمة ، فعليهم أن يجتهدوا ليكونوا فى خصال الخير والفضائل المثل الأعلى ، وبأوصاف الحزم والمروّة والكمال القدوة المثلى

ومن أعظم أركان التربية العامة النافعة إصلاح التعليم ، والاعتناء بالمدارس العلمية ، وأن يختار لها الأكفاء من المعلمين والأساتذة الصالحين الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة قبل ما يتلقون من معلوماتهم العالية . ويختار لها من فنون العلم الأهم فالأهم من العلوم النافعة الدينية والدنيوية المؤيدة للدين . وأن تكون العلوم الدينية هى الأصل والأساس الأقوم ، ويكون غيرها تبعاً لها ووسيلة اليها ، وأن يكون الغرض الوحيد من المتخرجين فى المدارس الناجحين فى علومها أن يكونوا صالحين فى أنفسهم وأخلاقهم وآدابهم مصلحين لغيرهم ، راشدين مرشدين ، مهتمين بتربية الأمة . فان كثيراً من المدارس الآن التعليم فيها قاصر جدا ، لا يعتنى فيه بأخلاق التلاميذ ، ويكون

تعليم الدين فيها ضعيفا ، ويكون الغرض منها المادة ، وأن يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة ، وهذا ضرره كبير ، وسبب للضعف والانحلال . ولا ريب أن السعى فى اصلاح التعليم من أهم المهمات ، وبه ترتفع الأمة وتنتفع بعلمائها وعلومهم ، فالتعاليم النافعة ، والتربية الصالحة ، تقود المسلمين الى كل خير وفلاح ، وتكون العلوم مقصوداً بها الصلاح والاصلاح

من الجهاد ورعاية الأمانة تخير الاكفاء من الرجال فى الولايات والأعمال

قال الله تعالى ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وقال ﴿ إنّ خير من استأجرت القوىّ الأمين ﴾ . وأعظم وأولى ما يدخل فى الأمانات الولايات كلها كبيرة كانت أو صغيرة ، وتخير الرجال الكمل من أعظم التعاون على البر والتقوى ، ومن قواعد الجهاد وأصوله ، فانه لايتم الجهاد إلا بذلك ، بل لاتتم الأحوال كلها إلا بذلك . وكما أنه يلزم الاعتناء والاستعداد بالحصون المنيعة والسلاح القوى والجيوش المنظمة العاملة والاهب الوافرة فكذلك يلزم الاستعداد بالرجال الأكفاء على جميع الأعمال ، وأن يولى فى الولايات كلها أهل القوة والكفاءة والعقل والرأى والسياسة والحزم والعزم والتدبير الموفق والدين القوى والنصح الكامل ، وأن يكونوا من أصل راسخ فى الكمال ، ومن أهل الشجاعة التامة ، وإذا لم يدرك الرجل الكامل فى هذه الأوصاف فيختار الأمثل فالأمثل . فهؤلاء الرجال هم الذين يقومون بشئون المملكة ، ويوطئون بساط الأمن وطرق الراحة ، ويرفعون بناء الملك على طريق العدل ، ويوقفون الرعية على حدود الشريعة ، ويراقبون مع ذلك روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ، ليحفظوا لها المنزلة التى تليق

بها ، بالمعاهدات السلمية والاقتصادية وغيرها . ومن أكبر الخيانة والخطر تولية غير الناصحين أو غير الأكفاء العارفين ، فان تمام الولاية بمجموع بشيئين : أحدهما الخبرة والكفاية التامة بالقيام بشئون ذلك العمل ، أيّ عمل كان ، فيولى فى كل عمل أكمل من يحصل به مقصود تلك الولاية وان كان ناقصا فى غير ذلك العمل . الثانى الأمانة والنصح ، فمتى اجتمع الأمران — القوة على ذلك العمل ، والأمانة التامة — تمت الأمور ، واستقامت الأحوال . ومتى فقد الأمران أو أحدهما وقع النقص والخلل بحسب ما نقص منهما

وتتعين المشاورة فى انتخاب الرجال الكمل الذين أخصّ صفاتهم الاقتداء بنبيهم ، والاهتداء بسيرته وهديه ، فى الجد الكامل لتقوية الاسلام والمسلمين وتكوين الأمة وتربية أخلاقها ، وأن يكونوا على جانب من العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة تاريخ الدول الاسلامية ورجالها ، والعلم بأسباب الضعف والانحلال الداخل على الأمة والسعى بازالتها أو تخفيفها مهما أمكن الأمر . وأن يكونوا ذوى قوة وأمل ورجاء واسع ، لا يملكهم اليأس ولا يتطرق اليهم الفتور . وأن يكونوا متصلين بأفراد المسلمين وجميع طبقاتهم اتصالا وثيقا ، ويتعرفون بشئونهم ويسألون عن أحوالهم ويأخذون بآرائهم الصائبة ويستمدون من عقولهم القوية . وأن يحبوا لهم من الخير ما يحبون لأنفسهم ويسعوا فى ذلك الخير لهم . وأن يكونوا أصحاب فكر ثاقب ، وسياسة وخبرة ، وانتهاز للفرص النافعة ، وكثرة مشاورة للرجال الناصحين . وأن لهم علاقات مع جميع العاملين من المسلمين فى أنحاء العالم : يبدون لهم ودّهم ، ويستشيرونهم ، ويستنيرون بآرائهم ، ويأخذون بالناضج المصيب منها . وأن يكونوا مع ذلك عارفين بسياسات الأجانب ، عارفين بحقوقهم ، آخذين الحذر من مكرهم وكيدهم وخداعهم ، يعاملونهم لمصلحة المسلمين ، ويأخذون الحذر منهم خوف الضرر على المسلمين ، عملهم كله لمصلحة الاسلام والمسلمين

وهم مع ذلك كله مخلصون لله متوكلون عليه معتمدون فى جميـــع أمورهم عليـــه.

فهذه أوصاف الرجال الذين ينبغى تخيرهم ، والواحد من أمثال هؤلاء يعدل أمة . وعلى أهل الحل والعقد أن يتقوا الله ما استطاعوا، ويولوا الاكمل فالا كمل . والله أعلم

شرح محاسن الدين الاسلامى

وبيان عقائده وأخلاقه وأحكامه واصلاحه

من أعظم الجهاد

قال الله تعالى ﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقـــين ﴾ ، وقال تعالى وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ أى بهذا القرآن ، وبما جئت به من الدين ، وذلك بالدعوة اليه وتبيين أنه دين العدل والرحمة والحكمة والخير والصلاح ، للظاهر والباطن ، والدين والدنيا

وأعظم جهاد النبى صلى الله عليه وسلم للخلق بهذا النوع ، فانه مكث مدة طويلة يدعو إلى الله ، ويبين للعباد محاسن الدين ، ويقابل بينه وبين ضده من أديان أهل الارض المنحرفة ، ومن جاهليتهم الجهلاء ، حتى دخـــل الخلق العظيم فيه متبصرين ، مقتنعين أنه الدين الحق ، وأن ما سواه باطل ، بالبراهين العقلية والفطرية ، والآيات الافقية والنفسية . قال تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

وهذا الجهاد هو الاصل ، وقتال اليد والسلاح تبع لهذا لكل معتد على الدين . قال تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كلـــه لله ﴾ فهذا الدين الاسلامى بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله وما جاء به من

القرآن أكبر البراهين القواطع الضرورية الدالة على أن الله هو الحق ، ورسوله حق ، ودينه حق ، وما عارض ذلك هو الباطل . وهو بنفسه جذّاب لكل من قصدُه الحق ومعه إنصاف . فانه اذا نظر وحقق عقائده فانه يدعو الى الايمان الصحيح بالله ، وبأوصافه العظيمة ، وأسمائه الحسنى ، وبكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبكل حق أخبر الله به ورسوله . وبذلك تمتلئ القلوب إيمانا ويقينا ونوراً وطمأنينة بالله ، وقوة توكل واعتماد عليه . وذلك يوجب كمال الاخلاص لله ، والقيام بعبوديته الظاهرة والباطنة والتبرى من الشرك كبيره وصغيره . واذا نظر الى أخلاق الاسلام وجدّه رآه يحث على كل خلقٍ جميل ، ويحذّر عن كل خلق رذيل ، ويدعو الى القيام بحقوق الله وحقوق عباده وبالمعاملة الحسنة . واذا نظر إلى تعاليمه وإرشاداته العالية رآه يحث على كل علم نافع مزك للقلوب ، مطهر للاخلاق ، نافع للدين والدنيا ، وأنه مرشد إلى كل صلاح وإصلاح . فشرحُ هذه الأمور للناس من أعظم الجهاد ، فانه يقوّى ايمان المؤمنين ، وتزداد به بصائرهم ورغبتهم ، ويحمدون الله الذى منّ عليهم بهذا الدين الكامل الذى حوى كل خير علمى وعملى ، وكل هداية ورحمة ، وهو السبب الوحيد إلى سعادة الدنيا والآخرة . وكذلك هو أكبر داع لمن وقف على حقيقته من الأجانب ، وخصوصا المنصفين منهم : فمريدُ الحق إذا وقف على حقيقته لم يتوقف فى تفضيله على كل دين ، والمكابر يزلزل عقيدته ويخفف شرّه ، وبه تندفع شبه المبطلين من الملحدين وغيرهم ، فان الحق يستولى على القلوب ويزهق الباطل ، فانه من عرف الحق معرفة صحيحة امتنع أن يقوم بقلبه باطل يقدّمه عليه ، الا إذا عارض ذلك غرض فاسد من كبر أو حسد أو رياسة أو تعصب أو غيرها . ومن تأمل هذا الدين رآه يدعو الى الصلاح والرشد والفلاح ، والكتاب والسنة كفيلان ببيان ذلك كفالة تامة ، فيهما الآيات والبراهين على أنه محال أن يحصل الصلاح الحقيقى ولا سبيل للبشر الى الاصلاح والخير والسعادة

الا بهذا الدين ، فانه ما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد اليها هذا الدين ولا خير إلا دل عليه ولا شر إلا حذر عنه : يأمر بتوحيد الله والايمان به ، ويحث على العلم والمعرفة والأذعان ، ويأمر بالعدل والصدق فى الأقوال والأفعال ، وبالبر والصلة والاحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب والمعاملين وجميع الخلق وينهى عن الكذب والظلم والقسوة والعقوق والبخل وسوء الخلق مع الأولاد والأهل والأصحاب وغيرهم ، ويأمر بالوفاء بالعقود والعهود والمحالفات ، وينهى عن النكث والغدر ، ويأمر بالنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وينهى عن الغش يأمر . بالاجتماع والتآلف والتحابب والاتفاق ، وينهى عن التعادى والتباغض والافتراق . يأمر بالمعاملات الحسنة وأن توفى ما عليك كاملا موفرا لابخس فيه ولا نقص ولا مماطلة ، وينهى عن المعاملات السيئة والمطل والغش والبخس والتطفيف وأكل المال بالباطل وبغير حق . يأمر بأداء الحقوق الخاصة والمشتركة ، ينهى عن ضدها ، وعن التعدى على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم بغير حق . يأمر بكل معروف وطيب ونافع ومستحسن شرعاً وعقلا وفطرة وينهى عن كل فاحشة ومنكر وخبيث شرعا وعقلا وفطرة . يبيح كل طيب ، ويحرم كل خبيث . يأمر بالتعاون على البر والتقوى ، وينهى عن التعاون على الاثم والعدوان . يأمر بعبادة الله وحده ، وخوفه ورجائه وحده ، والطمع فى جوده وفضله ، والتنوّع فى فعل الأسباب المحصلة لخيره وثوابه ، وينهى عن التعلق بالمخلوقين والعمل لأجلهم . يأمر بنبذ الوثنيات والخرافات المفسدة للعقول والأديان . وبالجملة يأمر بكل خير وصلاح ، وينهى عن كل شر وضرر

فشرح الدين على نحو هذه الطريقة شرحا وافيا ، وتطبيق تعاليمه وهدايته على أحوال البشر ، وبيان أنها صالحة لكل زمان ومكان ولكل أمة . وأن الانحراف والشرّ والضرر انما يكون بفقد روح الدين أو نقصها ، وكذلك شرح أوصاف النبى ﷺ ونعوته وأخلاقه التى من تدبرها وعرفها وفهمها حق

الفهم علم أنه ﷺ أعلى الخلق فى كل صفة كمال ، وأن كل صفة كمال له منها أعلاها وأكملها ، وأن الكمالات الموجودة فى الرسل صلى الله عليهم وسلم قد جمعت فيه على الوجه الذى لايماثله فيه أحد ، وبذلك صار سيد الخلق ومقدمهم وإمامهم وأرفعهم عند الله قدرا وأعظمهم جاها

نبذة من أخلاقه وأوصافه ﷺ
وشىء من سيرته الدالة على انه رسول الله حقا
وأن ما جاء به من الدين هو الحق على وجه الايجاز

قال الله تعالى ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . من نظر الى سيرته ﷺ فى مبدأ أمره ومنتهاه وبين ذلك وتطورات أحواله ، وما حصل بذلك من الأحوال والانقلاب العجيب فى العقائد والأخلاق والآداب والتشريع العادل الرحيم والخير والرحمة مما لم يعهد له نظير فى تاريخ البشر ، وبعد ما كانت الأرض مملوءة من الشرك والوثنية المستولية على عقول أكثر الخلق ، والالحاد والظلم والشر والفساد وسفك الدماء وقطيعة الأرحام والمعاملات السيئة بكل وجوهها ، استبدلت باضدادها من عبادة الله وحده لا شريك له ، واخلاص الدين لله ، والقيام بعبوديته التى خلق لها الخلق ، وبالقسط والعدل فى جميع الحقوق ، وبصلة الأرحام ، والاحسان الى جميع طبقات الخلق ، عرف أن هذا من أكبر براهين رسالته ﷺ ، وكمال دينه وشريعته ، وأنه أعظم مرشد ومصلح للبشر على الاطلاق . فقد كان ﷺ معروفا بين قومه بشرف النسب ، وأن بيته أعظم بيوت العرب وخيرها . وكان معروفا بين قومه قبل بعثته بالصدق الكامل ، والأمانة التامة ، والبر والعدل ومكارم الأخلاق ، متربيا على الأخلاق الجميلة ، متنزها عن الأخلاق

الرذيلة ، لا يعرف له شيء يعاب به لا قليل ولا كثير ، ولا جرب عليه كذبة واحدة ولا خيانة ولا ميل فى شيء من أقواله وأفعاله . وكان نقى القلب ، ناصحا للقريب والبعيد ، وصولا للارحام ، موفيا بالعهد والذمام ، حاملا للكلّ ، معينا على نوائب الحق ، متواضعا لله ولعباد الله . حليما صبوراً عفوّاً محسنا ، كامل العقل والرأى ، حازما مسدّدا موفقا فى حركاته وسكناته ، مع أنه قد نشأ مع أمة أمية لا تعرف الكتب ولا تدرس الشرائع ، وهو فى نفسه لا يقرأ ولا يكتب ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون ﴾ ، ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾ . فلم يزل محببا له الخير ، فعالا له ، متنزها عن جميع الشرور ، حتى فاجأته الرسالة والوحى من الله تعالى ، ورحم الله به الخلق فجاءهم برسالة عظيمة عامة فيها صلاح البشر كلهم وسعادتهم ، وجاءهم بكتاب كريم لم يطرق العالم كتاب أعظم منه ولا أجلّ ولا أجمع لكل خير ولا أغزر علماً منه . وأخبرهم بأمور عظيمة وتفاصيل جمة لم يكن فى قومه من كان يعرفها ، ولا فى الأرض أحد عنده علم صحيح ينافيها وينكرها . وأعلن بهذه الرسالة غاية الاعلان لعلمه اليقينى الذى لا ريب فيه أنها الحق ، واعتماده على الحق ، ووثوقه بوعد الله بالظهور . مع كثرة الأعداء وتوفر المعارضين ، من أهل الكتاب والاميين وغيرهم ، فبادأهم وصرّح لهم بانكار ما هم عليه من الشرك والشرور والأخلاق الرذيلة ، وأن شريعته نسخت جميع الكتب ، وهيمنت على كل الشرائع السابقة . فرماه الجميع بقوس العداوة ، وجدّوا واجتهدوا فى ردّ ما جاء به ، ونصر باطلهم . وتحدّى قاصيهم ودانيهم وأولهم وآخرهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فما استطاعوا ذلك ، ولا قدروا على ردّ شيء من دينه ، مع أنهم مكروا مكراً كبارا ، وأتوا بكل وسيلة وحيلة ، فرجعوا منهزمين أمام الحق خائبين ، والمنصف منهم لم يجد بداً من الاعتراف ، والجاهد المكابر طفق ينصر باطله ، فلم يبد حجة ولا برهانا ، بل ولا شبهة يتكىء عليها . ومن أكبر

أدلة الحق معرفة ما قاله أعداؤه ومعرفة حججهم التى لا تغنى من الحق شيئا .
وجاء ﷺ للخلق وحده ، لم يكن له فى أول الأمر أعوان ولا أنصار ،
إلا الحق الذى هو نعم العون على الامور كلها ، فلم يزل يتبعه الواحد بعد
الواحد من أولى البصائر والالباب والعقول الرزينة ، على شدة عظيمة ،
ومقاومات من الاعداء عنيفة ، فلم تزعجهم الكوارث ، ولا عوّقهم عن
قبول الحق خوف ولا ضغط من الاعداء ، وأعداؤه هم أهل الرياسة ولهم
السيطرة ، فعادوه وعادوا أتباعه ، وآذوهم أشد الاذية ، وحرصوا على صرفهم
عن دينهم ، فلم يكن لهم بذلك طاقة ولا اقتدار ، لان إيمانهم صحيح ويقينهم تام
لم يؤمنوا لرغبة بذلها الرسول ولا رهبة ، وإنما الرغبة والرهبة فى ذلك الوقت
عند أعدائه ، ولكن هو الايمان الحق متى وقر فى القلوب لم يرتدّ عنه صاحبه
سخطة له ، بل يراه أحب الاشياء اليه ، وألذها لقلبه ، وأعظمها فوزا
وسعادة . فلم يزل ﷺ يدعو الى هذا الدين بعزم صادق ، وهمة لاتنى ولا
تضعف ، ويقين وثقة بوعد الله ، مع قوة المعارضات وشدة المقاومات من
جميع الاعداء ، ويتتبع العرب فى مواسم الحج وغيره فى منازلهم يدعوهم الى
الله والى دينه ، والمتبع له إذ ذاك أفراد من الموفقين أولى البصائر ، وأكثرهم
معرضون ومعارضون مقاومون ، وهو صامد لامر الله ، مصمم على الدعوة
لعباد الله ، مستقيم على أكمل طريقة من الصدق والعدل ، والوفاء بالعهد ،
لا يتزعزع عن الاستقامة والاخلاق الفاضلة ، والنصح والقوة فى أمر الله ،
والشجاعة التى لا نظير لها فى الأولين والآخرين ، مع اختلاف الأحوال
عليه من خوف وأمن ، وفقر وغنى ، ويسر وعسر ، وضيق وسعة . فدخل
الناس فى دين الله أفواجا ، وانتشر الاسلام فى مكة مع الضغط العظيم ،
وانتشر فى المدينة أكثر من ذلك ، فأذن لأصحابه فى الهجرة الى المدينة
ليتمكنوا من إقامة دينهم ، فجعلوا يهاجرون اليها أفراداً وجماعات . وفى ذلك
الوقت عقد الرؤساء من قومه المجالس المتعدّدة للايقاع به ، وإطفاء النور

الذى جاء به ، ومكروا المكرات العظيمة ، والله يكلؤه ويحفظه . وحين بلغ الأمر أشدَّه ، وعزموا على الايقاع والفتك به ، ورتبوا أمرهم وأجمعوا كيدهم أذن الله له بالهجرة فخرج فى تلك الحال الحرجة الى الغار هو وأبو بكر مختفيين وبوعد الله واثقين . واشتدَّ الطلب ، وعز التخلص والهرب ، ولكن لطف الله ونصر الله فوق مكر الماكرين ، قال تعالى ﴿ واذ يمكر بك الذين كفروا ليُثْبِتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، ﴿ إن لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ﴾ الآية . وهذا النصر من أكبر الآيات والبراهين على عناية الله به وحفظه إياه ووعده الصادق بتمام أمره ودينه . ثم هاجر الى المدينة وعناية الله تصحبه ، وحفظه وتوفيقه يرافقه ، فتلقاه المسلمون ، وكل قبيلة من قبائل الأنصار تدعوه الى النزول عندها وتقول : هلمَّ يا رسول الله الى العدد والعديد ، فاختار الله له ذلك المنزل الذى بركت فيه ناقته ليكون مسجدا له ومساكن لنسائه ، فاختط مسجده هناك ، وعمل فيه مع المسلمين ، وبنى مساكن زوجاته بجواره ، وسر المسلمون بقدومه . ولم يزل الله يشرع له الشرائع الكبار شريعة بعد أخرى بحسب المناسبات ، ثم أذن له فى القتال لما اشتدت مقاومات الاعداء بكل طريق ، فلم يزل معهم يدال عليهم ويدالون عليه حتى صارت له العاقبة والنصر عليهم ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا حين شاهدوا أنوار الاسلام وهداية القرآن وارشادات الدين ، وكان دينه الحق وما جاء به من أكبر الأسباب لدخول الخلق فى الدين ، فانه يدعوهم بنفس الحق الذى جاء به ، والذى تنقاد له القلوب السليمة والعقول الصحيحة ، وتلين له الصعاب ، ويختاره أولو البصائر والألباب الرزينة والآراء الصائبة ، لما يرون من إصلاحه العقائد والأخلاق والاعمال كلها ، ودعوته للصلاح المطلق بكل وجه واعتبار . وهذا وجه ادخاله فى الجهاد ، اذ هو أصله

وأساسه ، فان الغرض من الجهاد انقياد الخلق للحق ، ودخولهم فى الدين الحق ، وأكبر وسيلة لذلك معرفة ما جاء به الرسول ، والوقوف التـــام على حقائق الدين . وما زال ﷺ يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وبكل طريق يوصل الى الهداية ، ويجادل المبطلين بالتى هى أحسن ، حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين ، وجمع الله به أمما متبـــاينة وقلوبا متفرقه وأهواء متشتتة ، وأصلح الله به الظواهر والبواطن وكل أمر فاسد . وبعد ما كانت الأرض مملوءة من جميع أصناف الشرور ، محقها الحق الذى جاء به . حتى امتلأت من الحق والعدل والرحمة والخير والنور ، فمحا الظلمات المتراكمة ، وحق الحق ، واضمحل الباطل وزهق ، ان الباطل كان زهوقا . فمعرفة الآثار والمنافع العامة العظيمة التى حصلت لأهل الأرض برسالتـــه ودينه من أكبر البراهين الدالة على رسالته ، وصحة ما جاء به من الدين الحق الذى لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، وهو دين جميع الرسل وأتباعهم ، فهو الدين الذى أخباره فى أعلى درجات الصدق ، وهو الذى ما أمر بشىء فقال العقل ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شىء فقال العقل ليته أمر به . بل لو اجتمعت عقول الحكماء وسائر العقلاء على اقتراح دين أحسن منه وأصلح وأنفـــع للعباد لعجزت أفكارهم عن أن تصل الى ما يقاربه . وأكمل الناس عقلا من حصلت له به الهداية والرشاد ، فانه تنزيل من حكيم حميد . ولهذا سمى الله ما أنزل على رسوله هدى ورحمة ونورا وحكمة ورشدا ، وحثّ فيه على كل إصلاح فى أصوله وفروعه ، وأرشد إلى المنافع الدينية والدنيوية

ثم انك إذا تأملت أحوال النبى ﷺ وتنقلاته فى دعوة الخلق ومعاملاتهم من أوليائه وأعدائه رأيت فيها الهدى الكامل والنصح التام ، ورأيت آثار دعوته ملأت قلوب المسلمين علما ويقينا ومعارف ربانية ، واهتدوا بها الى كل خلق جميل وتنزهوا عن كل خلق رذيل ، فكما كانت آثار رسالته فى نفسه أكمل الآثار فتجمعت

فيه أصناف الفضائل والكمالات على أكمل وجه ، وصار بذلك أكمل البشر فى كل الأمور مطلقا ، فكذلك كانت آثار رسالته فى أصحابه وأمته أكمل الآثار وأفضلها وأجلها ، فلم يصل أحد من الأمم الى ما وصل اليه أصحابه وأئمة الهدى من أمته وطبقات أهل العلم والايمان من المعارف الصحيحة ، والعلوم النافعة ، والمعارف الربانية ، والايمان الصحيح ، واليقين الكامل ، والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه ، والرحمة بالخلق ، والاحسان والعدل ، وهذا من براهين صدقه وصحة ما جاء به

وكذلك من براهين رسالته أنه فى هذه المدة القصيرة مكنه الله وبارك فى عمره الشريف حتى أسس هذا الدين الذى هو أكمل الأديان وأعمها وأهداها للخلق ، فقرر أصوله وفروعه ، وحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا ، وصار المثل الأعلى والقدوة للخلق فيما يأتون وما يذرون ، وما يقولون ويفعلون . إنْ حُققت العقائد الصحيحة ، والأخلاق الرجيحة النافعة المصلحة للقلوب ، جُعل الميزان فيها عقيدته وأخلاقه ، وانْ فُصلت علوم الشريعة على سعتها وتنوعها كانت كلها مأخوذة من شريعته وتعليمه ، وإنْ أريد الوصول الى علم السياسة وفنون الحرب والسلم ومعاملة الأعداء من جميع الوجوه كان المدار فيها على هديه وعمله وإرشاده ، وإنْ طلب علم الولايات كلها صغارها وكبارها : من الامامة العظمى الى ولاية الانسان على عائلته وأهل بيته لم يوجد أكمل من طريقته فيها ، وان حصل البحث فى أحوال القلوب ووسائل إصلاحها ودائها ودوائها لم يكن لذلك سبيل إلا بسلوك الطرق التى أرشد اليها . فلا يوجد علم صحيح ولا عمل ظاهر ولا باطن الا وقد هدى الخلق اليه وأرشدهم اليه

فهذه جمل مختصرة تدل على رسالته ﷺ ، وصحة دينه ، وأنه الدين الحق الذى لا يصلح البشر غيره ، وأنه لا دين إلا دينه ، ولا طريق إلا طريقه ، ولا تصلح الامور كلها إلا باتباعه

ذكر البراهين من الكتاب والسنة الدالة على ربوبية الله ووحدانيته وصدق رسوله وصحة دينه

لما كان توحيد البارى أعظم الأمور وأكملها وأفرضها وأفضلها ، وضرورة العباد اليه وحاجتهم فوق كل ضرورة تقدر ، فان صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم تتوقف عليه ، نوّع الله الأدلة والبراهين عليه ، وكانت أدلة واضحات وبراهين ساطعات

فمن أوضح ذلك وأجلاه لكل أحد الاستدلال باعتراف الخلق بتوحيد الربوبية على توحيد الألهية ، فانهم يعترفون أن الله هو الخالق الرازق المالك للعالم العلوى والسفلى ، المدبر لجميع الأمور ، كما ذكر الله ذلك عنهم فى آيات من القرآن كثيرة كقوله ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله ﴾ الآية فانه برهان واضح ينتقل الذهن منه بأول وهلة بأن من هذا شأنه وعظمته أنه هو المنفرد بالوحدانية الذى لا تصلح العبادة إلا له . وفى مقابلة ذلك يخبر أن من سواه مخلوق فقير عاجز غاية العجز ، لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضراً ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا ينفع من دعاه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل يضره أعظم الضرر ، وآثار الخلق والفقر التام على الخليقة كلها ظاهرة لكل أحد ، وبذلك يعلم افتقار جميعهم الى عبودية الله وإخلاص العمل له ، كما كانوا مفتقرين فى وجودهم وما به يكمل وجودهم الى الله غاية الافتقار

ومن براهين التوحيد ما يشاهده العباد من كرمه وجوده وإحسانه المتنوع وأنه ما بالعباد نعمة دينية ولا دنيوية ظاهرة أو باطنة إلا من الله ، وأنه لا يأتى بالحسنات إلا هو ، ولا يدفع السيئات الا هو . فمن كان هذا فضله وكرمه فهو المستحق للحب الكامل ، والذل والعبودية ، والثناء والحمد ،

والشكر المتنوع بالقلب واللسان والجوارح

ومن براهين توحيد الله وصدق رسله — وهو دليل على البعث والجزاء بالأعمال — آياته فى عباده المتبعين للرسل والمكذّبين لهم : يبعث رسولا إلى قبيلة عظيمة ، فيدعوهم إلى توحيد الله واخلاص العمل له ، وينهاهم عن الشرك وأصناف الشرور ، ويبعث على يديه من البراهين ما على مثله يؤمن البشر ، فيؤمن به القليل منهم ، ويكفر أكثرهم ويعاندون ، ويتوعدهم بالعقوبات الدنيوية ، قبل الأخروية ، فاذا تم طغيانهم وتمرّدهم على الله وعلى رسله ، أرسل عليهم عقوبات متنوعة : اما طوفان يغرقهم ، أو ريح تحصبهم ، أو صيحة تهلكهم ، أو ظلة تحرقهم ، أو يفلق البحر فيغرقهم ، أو يقلب عليهم ديارهم ويمطر عليهم الحجارة التى تهلكهم ، فلا يبقى من المكذّبين باقية ، وينجو الرسول ومن تبعه ﴿ ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾

وخاتمة ذلك ما نصر به خاتمهم وامامهم محمداً ﷺ حيث بعثه بما بعث به الرسل من التوحيد الخالص ، والنهى عن الشرك والشرور . فقاومه أهل الأرض كلهم قريبهم وبعيدهم ، ومكروا فى نصر باطلهم وردّ ماجاء به محمد ﷺ مكراً عظيما ، فخذلهم ونصر نبيه ، وأظهر دينه على الدين كله نصراً لا مثيل له ، حتى وصل هذا الدين الى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا يزال هذا النصر الربانى من الله لأمته بحسب تمسكهم بما جاء به ، ان فى ذلك لآية على أن دين الله الذى هو الأيمان والتوحيد هو الحق ، وأن ما عارضه باطل ، وأن كل ما جاء به حق

من براهين الدين الاسلامى ما أخبر به من الغيوب المتنوعة

وقد قص الله فى كتابه كثيراً من أنباء الغيب الماضية والحاضرة والمستقبلة المتعلقة بالخالق والمتعلقة بالخلق ، وهى كلها حق وصدق مطابقة للواقع

فمن ذلك ما أخبر به عن تفصيل الوقائع العظيمة الماضيـــة ، فى قصص الرسل فى أنفسهم ، ومع أقوامهم من أتباعهم وأعدائهم ، تفصيلا تاما ليس لأحد طريق الى الوصول اليه الا من جهة الوحى الذى جاء به محمد ﷺ ، ونهاية ما عند خواص أهل الكتاب من هـــذه الأمور نتف وقطع يسيرة لا يحصل منها قريب مما يحصل بالقرآن . ولهذا يخبر فى أثناء هذه القصص المفصلة المبسوطة أن اتيان الرسول بهـا دليل على رسالته ، كقوله عند ما ذكر قصة موسى مبسوطة ﴿ وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاوياً فى أهل مَدْين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ﴾ أى إنه لا سبيل الى معرفة هذه الأمور مفصلة بتلقّ عن أحد ، ولا وصول لك اليهـا إلا بالوحى رحمة من الله بعباده . وكذلك ذكر الله هذا المعنى فى قصة يوسف المطولة فى قوله ﴿ وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم ﴾ الآية . وفى قصة زكريا مع مريم ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ﴾ وحين جاء ﷺ بهذه القصص مفصلة مبسوطة موافقة للواقع بطريق لا يدرك إلا بالوحى علم أنه رسول الله حقا وأن ما جاء به حق

ومثل ذلك خبره عن الملائكة والملأ الأعلى وقصة آدم وسجود الملائكة له بعد تلك المراجعات بينهم وبين ربهم قال ﴿ ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون ﴾

وأعظم من ذلك كله وأجل إخباره عن الرب العظيم وأسمائه وصفـــاته مفصلة ، بحيث جاء هذا القرآن بما لم يأت به كتاب قبله ، وأخبر عن الله أخباراً عظيمة تعجز قُدَرُ الأولين والآخرين وعلومهم ومعارفهم أن يأتوا بما يقاربها أو ينقضها أو بعضها ، فجميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء والمأثور عنهم كل ما فى ذلك فانه فى القرآن ، وفى القرآن زيادات عظيمة

وتوضيحات تدل أكبر دلالة وأقواها على أن من جاء بها إمام الرسل وسيد الخلق ، وأن هذا القرآن مهيمن على ما قبله من الكتب . وأن كل حق قاله أو تكلم به أحد من الخلق فهو فى ضمن القرآن ودلالته

فان قيل : كيف تجعلون هذا البرهان الذى هو خبر عن الله وأسمائه وصفاته من براهين هذ الدين ، وحقية رسالة محمد ﷺ ، وأدلة التوحيد والبراهين لا بد أن يعترف بها الموافق والمخالف ، وتكون مبنية على الأصول التى يعترف بها العقلاء ؟ قيل : الجواب عن هذا الايراد يتضح بأمور : منها أن الذى جاء به رجل أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وقد نشأ بين أمة أميين ، لم يجالس أحداً من أهل العلم ، ولم يدرس كتابا ، ولم يزل على هذا الوصف حتى جاء بهذا القرآن العظيم الذى معظمه هذه الاخبارات العظيمة المحكمة المتناسبة . فمجرد النظر الى هذه الحال التى هو عليها ، ومجيئه بهذا الكتاب المحتوى على هذه العلوم ، برهان قوى يضطر الناظر اليه ويعترف أنه حق ، وأنه لا سبيل اليه إلا بالوحى والرسالة . ثانيا أنه صدّق المرسلين والكتب السابقة ، فالذى جاء به موافق ومطابق لخبر الله وخبر رسله ، شاهد له مهيمن عليه مع وصفه ﷺ بالأمية . ثالثا أن ما فيه من الاسماء الحسنى والصفات العليا كلها متناسبة متصادقة ، لان كل اسم منها ووصف يدل على الكمال المطلق بكل وجه واعتبار كمال لا يقاربه كمال ، ولا يمكن لعقول العقلاء أن تحيط بمعنى واحد من تلك المعانى والاوصاف العظيمة ، فهو أكبر دليل على التوحيد والرسالة . رابعها أن آثارها ومتعلقاتها فى الوجود والخلق والامر مشهودة محسوسة : آثار ما أخبر به من العظمة والملك والسلطان ، وآثار ما أخبر به من الحكمة الشاملة والعلم المحيط ، وآثار ما أخبر به من الرحمة والجود والكرم ، وآثار ما أخبر به من اجابة الدعوات وتفريج الكربات وإزالة الشدّات ، وآثار ما أخبر به من شمول القدرة ونفوذ الارادة وكمال التصرف والتدبير ، إلى

غير ذلك مما أخبر به عن الله ، فان آثار ذلك فى الخلق مشهودة لكل أحد ، لا ينكرها أو يتوقف فيها الا مكابر مباهت . وكذلك آثارها فى الامر والشرائع فهو صلى الله عليه وسلم يخبر عن أمر محكم ، وغيب مشاهدة آثاره ، محسوسة مقتضياته . وذلك يدل دلالة قاطعة أنه حق ، وأن من جاء به هو النبى الصادق المصدوق . خامسا هذه النعوت التى أخبر بها عن الله لا يمكن التعبير عن آثار كنه معرفتها فى قلوب العارفين بها من التعظيم والاجلال الذى ليس له نظير ، ومن الود والسرور والابتهاج الذى لذّات الدنيا بأسرها بالنسبة اليه أقل من قطرة بالنسبة الى البحر ، وهم خلق لا يحصى عددهم إلا الله ، وهم خلاصة الخلق ، والطبقة العالية من الناس ، وأكملهم أخلاقا وآدابا ، وأرجحهم عقولا وأصوبهم آراء وأتمهم علوما ومعارف ، وقد اتفقوا على هذا الأمر العظيم ليس اتفاقا اعتقاديا علميا فحسب ، بل اتفاق علمى يقينى وجدانىّ ضرورى ، فهذا الاتفاق الذى ليس له نظير هو من أعظم البراهين على رسالته ، وصحة ما جاء به من التوحيد والحق ، وهو من آثار ما أخبر به ونتائجه وثمراته الجليلة . فان قلت انه قد يتفق طوائف من الخلق على بعض الأمور التى ليست بحق ، ويكثرون جدا ، وقد لا يكون حقا إن لم يكن لهم بذلك برهان علمى . فالجواب أن الأمر كذلك ، فكم يتفق على الباطل أمم لا يحصيهم إلا الله ، ولكن ما ذكرنا من اتفاق أهل المعرفة بالله الموصوفين بأعلى الصفات لا يشبهه شىء من تواطؤ الطوائف واتفاقها ، لأن هذا مبنى على علم يقينى واتفاق وجدانى صادر من هؤلاء الكمل الذين هم أرفع البشر فى كل فضيلة وخصلة كمال ، وذلك عن بصيرة تامة وذوق كامل ، ولهذا استشهد الله بهؤلاء على توحيده وصدق رسله فقال ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الاسلام ﴾ فذكر شهادة أولى البصائر من الأنبياء والعلماء الربانيين وائمة الهدى ومصابيح الدجى على توحيده وعلى العدل ، فدل أن هذا

من البراهين الواضحة . وكذلك أخبر عن الملائكة وأحوال الملأ الأعلى وعن الجنة والنار وصفاتهما وصفات أهلهما والأعمال الموصلة إلى كل منهما بأمور يستحيل أن يأتي بها إلا نبي صادق بوحي من الله اليه ، فان معارف الخلق وعلومهم تقصر غاية القصور عن معرفة تفاصيل ذلك وبيانه ، ولكنها رحمة الله وهدايته لعباده بعثها على يد خاتم الرسل وأكملهم رسالة

نوع من الاخبار بالغيوب

وأما الغيوب الحاضرة والمستقبلة الدال كل واحد منها على صدق الرسول وحقية ما جاء به من الدين ، فكيف بجميعها ، فكيف إذا انضمت الى براهين رسالته التي لا تحصى أجناسها فضلا عن أفرادها

فمن ذلك ما فى القرآن من وعده لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتم أمره ، وينصره ويعلى دينه ويظهره على الدين كله ، ويخذل أعداءه ويجعلهم مقهورين أذلين . وهو كثير جدا مثل قوله تعالى ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ، ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ، ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ ، ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ ، ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ﴾ ، ﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ ، ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ ، ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، إلى غير ذلك من الوعود الصادقة التى وقعت طبق ما أخبر الله به ، وأكثرها نزل قبل الهجرة والمؤمنون فى غاية الضعف والقلة ، كما قال تعالى ﴿ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها

النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ الآية . وقد فعل ذلك ، وقوله ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكفّ أيدى الناس عنكم ﴾ وقد فعل ذلك وله الحمد وأخبر أن صلح الحديبية فتح مبين مع ما حصل فيه من تلك الشروط التى كرهها كثير من المؤمنين ثم تبين لكل أحد بعد ذلك ما فيه من المصالح للاسلام والمسلمين مما لا يمكن حصره ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ﴾ وقد وقع كل ذلك . وأخبر أنه سيتوب على كثير من أئمة الكفر وينصر عباده عليهم كقوله ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾ ، ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ وقد فعل ذلك وقوله ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ وقد قالوا ذلك وقوله ﴿ فسيكفيكهم الله والله يعصمك من الناس أليس الله بكاف عبده ﴾ ، ﴿ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، ﴿ انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ وقد أوقع بهم من الأخذات مصداق ذلك ، وقوله ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ أى كل حالة متأخرة من أحوالك خير لك من سابقتها ، ومن تتبع سيرته وأحواله ﷺ وجد ذلك عيانا فى كل وقت من أوقاته ، يزداد قوة وتمكينا وتكميلا ، حتى قال له فى آخر حياته ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾ وقد وقع ذلك كما أخبر ، وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ، ﴿ وسيعلم الكفار

لمن عقبى الدار﴾ وقد وقع ما توعدهم به من العواقب الوخيمة، وقال ﴿فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ وقد أبصر الجميع أنهم المفتونون، وقوله ﴿ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا﴾ ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ وقد يسر الله الأمور بعد عسرها ووسعها بعد ضيقها وشدتها، وقال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا﴾ وقد أنجز وعده ولله الحمد. وقال ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ وقال ﴿ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ وقد أنجز لمن قام بالشرط هذا الوعد، وقال ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ وقد دعوا لذلك فى وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من ملوك الاسلام الصالحين. وقال تعالى ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾، ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾، ﴿أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير﴾، ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ فحصلت هذه الأمور كلها. وقال تعالى ﴿تبّت يدا ابى لهب وتبّ ما أغنى عنه ما له وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد﴾ وقوله ﴿ذرْنى ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا ممدودا﴾ الآيات. الى قوله ﴿سأصليه سقر﴾ فأخبر عن أبى لهب وامرأته وهذا الوحيد بصلى النار ومن لازم ذلك بقاؤهم على التكذيب والكفر الى الهلاك فبقوا على ذلك حتى هلكوا. وقوله ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ فكفاه اياهم وأوقع بهم العقوبات المتنوعة وهى معروفة بين

أهل السير . ولما ذكر مكر رؤساء الأحزاب والكفر قال ﴿ جندٌ ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ ، ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ فوقع ما أخبر الله به

فصل

ومن ذلك تحدّيه للخلق كلهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور منه اوسورة واحدة ، وأنه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فلم يقدر ولن يقدر أحد من الأولين والآخرين على شيء من ذلك مع كثرة الأعداء وجدّهم البليغ فى إطفاء نور الله وردّ ما جاء به الرسول ، ومن نزول القرآن والى أن تقوم الساعة والتحدّى قائم ، والبشر عاجز وفى غاية العجز عن ذلك ، ومن طفق من بعض المكابرين أن يجاريه أو يعارضه أو يأتى بمثله ظهر عيّه وصار ضحكة لأولى البصائر والألباب ، وقال ﴿ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدّمت أيديهم ﴾ فلم يقع منهم هذا التمنى فى وقت التحدّى الدال عليه السياق ، وقوله فى دعوة النصارى الى المباهلة حين كابروا وجحدوا وعاندوا ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ الآيات ، وقال ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توّابا ﴾ فأخبر عن هذه الأشياء فوقعت كما أخبر وقال تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر ﴾ أى مقطوع الذكر الجميل ، مقطوع من الخير ، عواقبه وخيمة . فوقع ذلك بشانئيه . وقوله ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل

ان الباطل كان زهوقا ﴾ ، ﴿ وقل رب أدخلنى مُدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ وقد فعل الله ذلك . وقوله ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وهذا شامل لحفظ ألفاظه ومعانيه ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا مشاهد محسوس . وقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ وقد فعل ذلك

فصل

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ وقال ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون ﴾ وهذا شامل لكل ما يخلقه الله ويحدثه مما خلقه وعلمه الانسان من أصناف المخترعات التى لا تزال تحدث من المراكب البحرية والبرية والهوائية ومن المخترعات الكهربائية والمغناطيسية الحاملة الأصوات من الأماكن الشاسعة والأنوار والأثقال المرقية للصناعات ونحوها ، فكل ما يحدث من دقيق وجليل فانه داخل فى هذه الآية ونحوها قال تعالى ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ ، ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ ، ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وانما لم يصرح القرآن بمثل أسماء هذه الأشياء وأوصافها الخاصة لأنه لا فائدة فى ذلك فى ذلك الوقت ، بل فيه مضرة ، لأن الناس لم يشاهدوا لها نظيرا ، والنفوس مولعة بالتكذيب والانكار لما لم يشاهدوه أو يشاهدوا نظيره ، قال تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ فانه لما أخبرهم بالاسراء إلى بيت المقدس من المسجد الحرام وبالمعراج الى الله وبأن فى النار

شجرة تخرج فى أصل الجحيم حصل بذلك فتنة ، مع أنها من المعجـــزات ، وبعضها من أمور الغيب المتقرر مخالفتها لما يعرف الناس ، فكيف لو صرح لهم وأخبرهم أن الناس سيطيرون فى الهواء ويغوصون فى البحار ويتخاطبون فى مشارق الأرض ومغاربها ونحو ذلك من الأمور الواقعـــة المدهشة ، لو أخبرهم ببعضه لسمعت من الانكار والتكذيب شيئا كثيرا ، ولكن أتى بكلمات جوامع يدخل فيها كل ما سيحدث الى قيام الساعة ، حتى إذا وقعت تبين دخولها فى دلالة القرآن فازداد المؤمنون بذلك ايمانا ، وقامت الحجة على المعاندين . ولهذا كلما توسعت معارف الناس فى علوم الكون والطبيعة عرفوا من دقيق حكمة الله وعظيم قدرته وحسن خلقه ونظـــامه العجيب فى تدبير المخلوقات ومطابقة ذلك لما أخبر به شيئا عظيما . ولكن أبى المتمردون إلا عتوا ونفورا . وهذا من آيات الله ، حيث تجد أناسا فى غاية المهارة والذكاء فى المخترعات وعلوم الكيمياء والطبيعة ونظام الكون ، ومع ذلك لم ينتفعوا بعقولهم فى أظهر الأشياء ، ولم يهتدوا بها الى أجل المعارف ، وهو معرفة الله باسمائه وصفاته ، ومعرفة دينه ورسوله وعبوديته الظاهـرة والبـــاطنة التى علومهم كلها من أولها الى آخرها لا نسبة لها بوجه من الوجوه ، ونهاية الأمر أن تكون من الوسائل ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ مع أنك تشاهد فيهم من الكبر والزهو واحتقار الرسل وعلومهم ما يدلك أكبر دلالة أن الأمر كله لله ، وأن من تكبر على الله وعلى رسله وتاه بعقله وكل إلى نفسه وعقله ، فلم ينتفع إلا بأمور ضئيلة دنيوية حاضرة ، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿ كلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ومن تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ وقد وقع العذاب من فوقهم بالقنابل المهلكة والدخان الخانق ، ومن تحت أرجلهم بالديناميت الناسف المهلك والألغام المتلفة وما أشبه ذلك . ولنذكر هنا آية

كبرى تشتمل على آيات فيها مصداق ما أخبر الله به وأخبر رسوله من التوحيد والرسالة والمعاد وأمور الغيب ، وفيها أخذ الخناق بالمكذبين الماديين الملحدين فنقول :

الكهرباء وأعمالها ونتائجها

قال الله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ وقال تعالى ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ . لم تزل حقيقة الكهرباء ونتائجها الباهرة وأعمالها العجيبة فى طى الخفاء والكتمان ، ولم يصل اليها فى غابر الزمان علم الانسان ، حتى ترقت معارف الناس فى العلوم الطبيعية والكيماوية وعلوم الكون ، فوصلوا إلى هذا العلم العظيم والكنز الثمين . وهو استخراج الكهرباء من المواد الأرضية والمائية والنارية وغيرها من المواد المتنوعة . فحققوا علمها ، وفرّعوا أعمالها ونتائجها ، بعد ما أتقنوا أصولها ، فأوجدوا بها الصنائع المتنوعة والمخترعات الباهرة وأوصلوا بها الأنوار والأصوات من المحال المتباعدة الشاسعة فى أسرع من لمح البصر . وما زالوا ولا يزالون فى ترقية مخترعاتها وتفريعها . أفليس الذى علم الانسان ما كان ناقصا فى علمه ، ناقصا فى إرادته وقدرته وعمله وجميع أحواله ، أليس الذى علمه هذه الأمور التى لم تكن تخطر ببال أحد من البشر بقادر على أن يحيي الموتى ، وأن يجمع الأولين والآخرين بنفخة واحدة ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾

لم تزل كتب الله المنزلة على رسله ، ولم تزل الرسل الكرام ، تقرّر التوحيد والمعاد وأمور الغيب بأنواع البراهين والأدلة المتنوعة التى تجعلها من الأمور التى هى أعلى درجات اليقين ، فلا تقبل ريبا وشكا بوجه من الوجوه . وأعداؤهم المكذّبون برسالاتهم ليس عندهم ما يعارض هذه الأمور العظيمة

إلا مجرد استبعادات استبعدوها بعقولهم القاصرة وآرائهم الكاسدة ، يقولون كما أن هذه الأمور متعذرة على قدر المخلوقين فكذلك هي متعذرة على الخالق . هذا حاصل ما ردوا به ما جاءت به الرسل من أمور الغيب والمعاد . ولم تزل هذه الطائفة المادية في نمو وازدياد حتى طم بحرهم في هذه الأوقات الأخيرة وانسلخوا عن أديان الرسل بالكلية وكذبوا ما جاءت به الرسل من أمور الغيب بهذه الشبهة وفشا الالحاد وطغى الماديون الذين ينكرون بجهلهم وسفاهة عقولهم ما لم تصل اليه حواسهم ، فأظهر الله هذه الآية الكبرى والحجة العظمى الدالة دلالة يقينية عينية على صدق ما أخبرت به الرسل ونزل به الوحي من أمور الغيب والمعاد فرأى كل من عنده أدنى عقل وانصاف أن ماجاء به الرسول ونزل به القرآن هو الحق الصريح الذي صدقت له الآيات الأفقية الكونية ، فكل شبهة يدلي بها المنكرون لما جاءت به الرسل يستندون فيها الى المشاهدات الحسية فقط وأن الذي جاءت به الرسل يخالف ما زعموه من المحسوسات فيتمين في زعمهم انكاره ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . وهذه الآية من أكبر ما يزلزل شبهتهم ويدحض باطلهم ويردهم على أعقابهم مقهورين مغلوبين بالحق المؤيد بالمنقول والمعقول والمحسوس ، فهذه المخترعات الناشئة عن الكهرباء ونحوها قد كان الرسل صلى الله عليهم وسلم يخبرون من أمور الغيب بما هو دونها أو فوقها أو مثلها ، فيظل هؤلاء الضلال يسخرون بها وبمن أخبر بها ، فأراهم الله من عمل الآدميين ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ﴿ قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ﴾ فالمؤمنون يزدادون بها إيمانا ويعلمون أن الذي أقدر الآدميين على ضعفهم ونقصهم من كل وجه على مثل هذه الأمور قادر على كل شيء لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء ، وأن جميع ما أخبر به وأخبرت به رسله فهو الحق ، والله له المثل الأعلى . فكل علم وقدرة في المخلوقين فالله هو الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون ، وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين ،

وبذلك تقوم الحجة التى لا يستطيع أحد انكارها على الجاحدين ، وأن تكذيبهم الرسل محض مكابرة واستكبار صرف ، وأنه لا شبهة لهم فضلا عن أن تكون لهم حجة أليس الذى أقدر البشر على هذه المقدورات مع أن قدرة جميع الخليقة ليس لها نسبة الى قدرة الخلاق العليم قادر على أن يحيي الموتى ويجمع الأولين والآخرين ويعلم ما تفرق من أوصالهم ومما تلاشى من أجزائهم فى أسرع من لمح البصر ، أليس التنادى والتخاطب الذى ذكره الله فى القرآن بين أهل الجنة وأهل النار مع البعد العظيم الذى كان المنكرون فى ذلك الوقت يرونه محالا ممتنعا فجاءهم مالا قبل لهم بدفعه ، الى غير ذلك من أمور الغيب التى قرّبتها للجاحدين بها هذه المخترعات غاية التقريب ، ولكنهم كما قال تعالى ﴿ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم﴾ فالمؤمن ينظر الى هذه الآيات بنور ايمانه ويستفيد بها هدى ورحمة وايقانا ، ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾

فصل

ومن ذلك إخباره أن سنته فى خليقته فى نظام العالم وفى الأسباب والمسببات والجزاء بالحسنى للمحسنين وبالسوءى للمسيئين لا تتغير ولا تتبدل وهى كلها جارية على مقتضى الحكمة التى يحمد عليها ، وهذا مشاهد فى الشرع وفى الخلق والقدر ، وقد يغير الله بعض الأسباب عن نظامها المعتاد ليعرّف العباد أنه المتفرد بالقدرة والتصرف ، وأن جميع الحوادث خاضعة لمشيئته وقدرته ، وأن ما أخبرت به الرسل من أمور الغيب حق ، ومفردات هذا النوع من معجزاته ﷺ وكرامة أوليائه لا تعد ولا تحصى ، ولكن أبى الجاحدون إلا أن ينكروا ما أخبر الله به على ألسنة رسله مما صاروا الآن

يفعلون نظيره ، فآمنوا بقدرة الانسان وكفروا بقدرة من هو على كل شي قدير ، فانقلب الامر عليهم ، وقلب الله قلوبهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، واستكبروا بعقولهم عن الحق فسلبت خاصيتها وفضيلتها الحقيقية

فصل

ومن أعظم علوم الغيب التى أخبر بها الله ورسوله بما أبداه الله وأعاده فى كتابه وسنة رسوله أنه لاسبيل الى هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم الحقيقية إلا باتباع هذا الدين والأخذ بارشاداته وتعاليمه . وهذا أمر لا يستريب فيه منصف ، وهو مشاهد محسوس ، فان هذه الأمة فى عصر الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين لما كانوا مهتدين بعلمه وارشاده وتربيته الخاصة والعامة صلحت دنياهم كما صلح دينهم ، وصاروا المثل الكامل فى العزة والقوة والعدل والرحمة وجميع الكمالات المستعد لها البشر ، ثم لما ضيعوا هدايته العلمية والعملية لم يزالوا فى نقص وضعف وذل مطرد لا يزول ذلك حتى يراجعوا دينهم ويرجعوا الى العمل بهدايته كلها ، فهو الذى فيه الشفاء التام من هذا الداء العضال . ثم فى مقابلة ذلك من العجب العجيب الذى ليس بغريب أن الأمم الأخرى ارتقت فى هذه الأوقات فى الصناعات الضخمة والمخترعات المدهشة والسلاح الفتاك والقوة والسياسة والفنون العلمية المادية التى لم يشاهد الخلق لها نظيرا وأنهم لم يزدادوا بها إلا شقاء وهلاكا وتدميرا ، حتى صارت حضارتهم التى يعجبون بها ويخضع لها غيرهم مهددة كل وقت بالتدمير العام ، وجميع علمائهم وساستهم فى حيرة من تلافى هذا الخطر ، فهو خطر واقع ما له من دافع ، ولن يتلافى ويدفع إلا باتباع ما جاء به دين محمد ﷺ ، المهيمن على جميع الأديان الكفيل بكل خير وسعادة وفلاح ، الجامع بين العلم والعمل ، وبين سعادة الدنيا والآخرة . فالعلوم والفنون المادية والقوة المادية المحصنة التى لم تؤسس

وتبن على الدين الحق خطرها عظيم ، وشرها مستطير . فانظر أحوال الأمم تر العجائب . فهذا الارتقاء المادى الذى لم يشاهد الخلق له نظيرا لما خلا من روح الدين كان هو الحبوط والهبوط والسقوط الحقيقى فى الدنيا والآخرة ، بل هو الشقاء والعذاب . والدنيا الآن كلها فى خطر مزعج لا يعلم مدى ضرره وفظائعه الا الله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

فصل

ومن البراهين على أن دين الاسلام هو الحق وأن ما سواه باطل أن تعاليمه العالية وتربيته السامية فى أقصر مـدة قد جمعت بين أمم متباينة وطوائف متعادية ، وألفت بين قـلوبهم ، وجمعت قاصيهم لدانيهم ، حتى صاروا إخوانا متحابين ، وقرناء وأصفياء متعاونين ، فحملوا بهذا الدين وبهذه الروح العظيمة المعنوية التى نفخ فيها الروح هذا القرآن على الأمم الضخمة والدول الكبرى والملوك الجبابرة فمزّقوا الجميع كل ممزّق ، واحتلوا ممالكهم المملوءة بالظلم والعدوان والشرور ، وملأوها بالعدل والرحمة والخير ، فهذا من أعظم براهين القرآن المشاهدة ، ودين الاسلام مع ذلك يدعو الى كل علم نافع فى الدين والدنيا ، ويدعو الى كل خلق كامل وأدب جميـل ، كالاخلاص لله والنصح لعباد الله والتوكل عـلى الله والالتجاء اليه فى جميع النوائب ، والطمأنينة بذكره ، والشكر له على آلائه ونعمه ، والصدق التام ، والقيام بالقسط فى حقوق الله وحقوق عباده ، والندب الى الفضل والاحسان الزائد عن الفرض ، والشجاعة والكرم ، والوفاء بالعهود والعقود ، وحسن المعاملة وسلوك طريق التوسط فى الأمور كلها ، والعفو وحسن الخلق ، وتربية الأهل والأولاد وكل من للمسلم عليهم ولاية ، وينهى عن أضداد ذلك . فمعرفة ما يدعو اليه هذا الدين ويحث الخلق عليه من البراهين على أنه الحق

فصل

ومن براهينه التى وقعت مطابقة للواقع والمشاهدة أنه أخبر أنه آيات لأولى الألباب ، لقوم يعقلون ، للموقنين . وهى آيات كثيرة تبين أن أهل العقول الوافية والبصائر النافذة بقدر ما أعطوا من هذه النعمة الكبرى واللب الكامل يكون حظهم من هدايته وارشاداته ومقدار الانتفاع به ، فتأمل هداة هذه الأمة ومرشديها هل تجد أكمل منهم عقولا وألبابا ، وأصوب آراء . وتأمل هل تجد مسألة أصولية أو فروعية فى هذا الدين قد شهد أحد من المعتبرين على فسادها أو ضعفها أو مخالفتها للواقع ، وكل من قدح فى شىء منها بُيّن بالبراهين المعترف بها بين العقلاء أن الخلل فى دينه وعقله وفهمه أو فى سوء ارادته . واذا أردت تفصيل هذه الجملة الكبيرة فاقرأ كتاب العقل والنقل لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وكيف بين بالبراهين الواضحة العقلية على ضعف عقول القادحين فى شىء من مسائل هذا الدين ، وأن الذى زعموه عقليات هو جهل وضلالات . وقد تحدى البارى الخلق أن يأتوا بمثل كتابه أو ببعض مثله . وهذا هو عين هذه المشكلة ، فليرنا المنكرون مسألة واحدة منه خارجه عن الحق والعدل والصلاح والرحمة والحكمة إن كانوا صادقين .

فهذا الدين هو الذى يصلح الأمم اصلاحا حقيقيا ولا يصلحهم سواه أبدا ، وقد أكمل الله هذا الدين : فليس فيه نقص بوجه من وجوهه ، لا فى عقائده وأصوله ، ولا فى أخلاقه وآدابه ، ولا فى أعماله ومنافعه المتنوّعة ، ولا فى شرائعه وأحكامه وحكمه بين الخلق ، ولا فى ظاهره ولا فى باطنه . فكل ضرر أو قصور أو تقصير أو اسراف ومجاوزة فلفقده أو نقصه . وهذه الأصول والجمل العظيمة نتحدى بها جميع البشر ، وأنه محال أن يجدوا فيما جاء به الرسول نقصا أو خللا بوجه من الوجوه ، فانه جمع المحاسن والكمالات

والمنافع كلها ، ونهى عن القبائح والمضار والمفاسد كلها ، فليأتوا بمثال واحد يسلمه العقلاء مخالفا لهذه الأصول التى أسسها هذا الدين وجعلها قواعد خالدة نافعة يرجع اليها البشر فى هدايتهم ورشدهم

فصل

ومن براهين القرآن وهذا الدين إخباره المتنوع بما تفعله هداية الكتاب والسنة فى القلوب والأرواح والأخلاق ، وأن الأمور المذكورة لا تكمل ولا تتم ولا تصلح ولا تترقى الا بهدايته ، فوجد مخبره كما وصف . فهذا معروف لا ينكر ، يشهد به أولو الألباب والبصائر ، وهم أذكى الناس وأزكاهم وأصدقهم وأورعهم وأصحهم علوما ومعارف وأذواقا صحيحة ، وأعدلهم شهادة عن علم ويقين ووجدان ، وذوق صحيح موافق للعلم واليقين . قال تعالى ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ ، ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ فكل من قصد رضوان الله واجتهد فى معرفته واتباعه هداه سبل السلام التى أضافها الى نفسه ، لأنه الذى نصبها لوصول سالكها الى الله عز وجل . والهداية المذكورة فى الآيتين وغيرهما تشمل الهداية العلمية لكل علم نافع صحيح ، والهداية العمل لسلوك طريق الصلاح باطنا وظاهرا . قال تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وأصل الحياة الطيبة طيب القلب وراحته وسروره ، والقناعة والرضى عن الله ، وهذا مشاهد أن من حقق الايمان والعمل الصالح حصل له ذلك بحسب كمال ما قام به من الوصفين أو نقصه ، فان المؤمن الصادق لو كان فى أضيق عيش واشق حالة فان هذه الحياة الطيبة حاصلة له بوعد الله الذى لا يخلف الميعاد . وقال تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وهذه الطمأنينة بذكر الله هى ما يجده أهل الايمان والاحسان الصادقين من ذوق حلاوة الايمان وحقائق اليقين والأنس بالله وانشراح

القلب لطاعته وخدمته ، والاحوال الزكية التى هى أحلى فى قلوبهم من كل لذة يجدها الناس ، وهذه براهين ذوقية وجدانية تكون فى حق هؤلاء حق اليقين وهى أعلى من عين اليقين . وقال تعالى ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ فقد تكفل الله بهداية القلوب لكل من حقق الايمان بصدق ، فان ايمانه بالمأمور يقتضى فعله . وإيمانه بالمحظور وخوفه التام يقتضى تركه ، وايمانه بالمقدور الذى لا يلائم النفوس بان يعلم أنه من عند الله فيرضى ويسلم لأمره . فهذه الهداية التامة فى هذه الأمور مشاهدة لمن حقق الايمان ، وهذا أمر معلوم مشاهد بالبصائر والأبصار

فصل

ومن ذلك ما تواترت به نصوص السنة من إخباره ﷺ عن الأمور المستقبلة ، فوقعت طبق ما أخبر ، ولا تزال بقيتها تحدث شيئا فشيئا ، ولا بد أن يقع كل ما أخبر به ، فانه أخبر بالخلافة بعده وأنها تكون ثلاثين سنة ثم يعقبها الملك الذى فيه خير وشر وصلاح وفساد . واخباره بأن الله زوى له الارض مشارقها ومغاربها وأن ملك أمته سيبلغ ما زوى له منها ، فوصلت الفتوحات الاسلامية الى المحيط الغربى والى الشرق الاقصى من حدود الصين . وإخباره بما يقع بعده من الفتن التى فى صدر الاسلام وبعده . واخباره بأن خير القرون قرنه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فوجد مصداق ذلك فى علومهم وأعمالهم وثمرات أعمالهم واخباره بأنه لاتزال طائفة من أمته على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وظهر مصداق ذلك . وإخباره بفشو الزنا والخمر والحرير والذهب والجهل وقلة العلم وكثرة الهرج والمرج وتداعى الأمم على المسلمين كتداعى الأكلة على الصحفة مع كثرة المسلمين ولكنهم غثاء كغثاء السيل لتفرقهم وتعاديهم وذلهم وخضوعهم واستعبادهم

للاجانب وفقد معنويتهم لأعراضهم عن هداية دينهم . وإخباره بتقارب الزمان الذى من لازمه تقاربُ المكان ، فكان هذا عين ما وقع من قرب المواصلات الزمانية والمكانية بالمخترعات الحادثة . كما أن إخباره بمواقيت المناسك للاقطار قبل فتحها فيه الاخبار بفتحها وأن أهلها سيسلمون ويحجون وتصريحه بأن أمته سيهزمون الاكاسرة والقياصرة وتنفق خزائنها فى سبيل الله . وإخباره بالكذابين المتنبئين بعده وأنهم سيبلغون ثلاثين كذّابا فوقع كل ذلك . وإخباره بقتال أمته للترك ، وأن أمته ستركب البحر غزاة فى سبيل الله . وإخباره بأن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، والمراد هنا أمة الاجابة الذين آمنوا بالرسول وأجابوا دعوته ، فمنهم اثنتان وسبعون فرقة أهل بدع وواحدة أهل سنة متمسكون بما عليه النبى ﷺ وأصحابه ، وإخباره بخروج الخوارج المارقين ، ووصفه لهم بالصفات المتعدّدة المطابقة لأحوالهم ، وإخباره بظهور الخيانة ، وفقد الأمانة . وأن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وإخباره بقتال أمته لليهود وأن العاقبة لهم وقد ظهرت مبادىء ذلك ، وأنه لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجا وأنهارا وقد بدت مبادىء ذلك ولا بد أن يتم ذلك كله ، وأنه لا تقوم الساعة حتى يقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون قيم خمسين امرأة رجل واحد ، وقد وقعت أوائل ذلك بالحروب العالمية المهلكة ، وأخبر بوجود خليفة فى آخر الزمان يحثو المال حثيا ولا يعده عدا ، وأخبر عن النار التى تخرج فى الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى فوقعت منذ مئين من السنين ، وإخباره أنه لابد أن يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، ويخبره بما فعله أهله بعده ، ومصداقه ما ظهر من الأعمال الكهربائية والمخاطبات التليفونية والهوائية والراديات المتنوعة التى لا تزال فى نمو وازدياد ، الى غير ذلك من الاخبارات عن الوقائع فى أحاديث صحيحة متعددة ، وهى أحاديث

معروفة لا يمكن إحصاؤها فى هذا الموضع ، وهذا من براهين الرسالة وآيات نبوته ﷺ

وأما معجزاته التى شاهدها أصحابه فى حياته من انشقاق القمر ، وتسليم الجمادات والحيوانات عليه ومخاطبتها إياه ، وإجابة دعواته الخاصة والعامة ، وحصول بركة الطعام والشراب بملابسته ، ونبع الماء من بين أصابعه فى قضايا متعددة وشفاء المرضى وغير ذلك فقد صنفت فيها التصانيف الكثيرة وذكرت أجناسها وأنواعها وأفرادها ، وكل واحد منها برهان على رسالته فكيف بجميعها ، والعلم الضرورى اليقينى حاصل ببعض تلك الآيات ، وليس قصدنا فى هذه الرسالة ، وانما مقصودنا بيان البراهين المشتركة التى بقيت مشاهدة الى يوم القيمة لتكون آية وبصيرة للمؤمنين وحجة على المعاندين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حى عن بينة

فصل

قال الله تعالى ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ وهذا من أعظم براهين رسالته ﷺ أن الله أخبر أنه لو تقوّل عليه بعض الأقاويل — أى افترى على الله الكذب — أنه لا بد أن يهلكه ، فاذا كان قد ادعى هذا الدعوى العظيمة أنه أرسل الى الانس والجن ، وأن شريعته كاملة نسخت وهيمنت على شرائع الأنبياء قبله ، وأن من خالفه فهو ضال غاوٍ ، وعاداه على ذلك أهل الأرض عربهم وعجمهم ورموه عن قوس العداوة ، وأبدوا من مقاوماته القولية والفعلية ما انتهت اليه قُدَرُهم واستحل بذلك دماءهم وأموالهم ، والله مع ذلك يؤيده بقوله وبفعله ، وبنصره وخذلان أعدائه ، حتى أظهر الله دينه الحق على سائر الأديان ، فكانت هذه الحالة العظيمة أعظم وأكبر شهادة من الله شهد بها

الحس والعيان ، واضطرت العقول الى العلم اليقيني أنه رسول الله حقا ، فان الله بحكمته وقدرته ورحمته لا يؤيد الكذاب المفترى عليه ، فكيف والله قد أيده بتاييد ونصر لم يحصل لأحد من الأولين والآخرين ، ويظهر صدقه بالآيات الأفقية والنفسية التى شهدها أول هذه الأمة وآخرها ، وشهد بها وسمعها الموافق والمخالف ، قال تعالى ﴿ قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ هذا بقطع النظر عن حالته الخاصة مع قومه وأهل بلده ونحوهم ممن كانوا لا يشكون فى صدقه وأمانته وكمال أوصافه التى لا يماثله ولا يقاربه فيها أحد ، فانهم لا يستريبون فى ذلك قبل أن يقول لهم انى رسول الله ، فلما قال ذلك كذبوه بل كذبوا بها جحدا منهم لآيات ربهم واستكباراً عن الانقياد لها ، كما قال تعالى ﴿ فانهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ فأراهم الله خاصة وأرى الخلق عامة من آيات رسوله وبراهين دينه آيات بينات وبراهين قاطعات ، اضمحلت معها كل مقاومة قولية أو فعلية من كل معارض ومعاند وجاحد وملحد ، وهى باقية قائمة على الدوام ، تزول السموات والأرض والجبال وهى لا تزول ، وتتحول كل حال من الأحوال وهى مستمرة لا تتحول ولا تحول

فصل

قال تعالى ﴿ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ وهذا من آيات الله وبراهينه على صدق رسوله وصحة ما جاء به من هذا الدين المحفوظ فى معانيه وألفاظه ، فكما أن معانى الكتاب والسنة يستحيل أن يقوم دليل صحيح على كذب شيء من أخبارها ، أو فساد ومنافاة للحكمة والعدل والرحمة فى أوامرها ونواهيها كما هو مقرر مبسوط فى جميع أصول الدين وفروعه ، فكذلك ألفاظ الكتاب والسنة معصومة جامعة بين دلالتها

على الحق والوضوح التام ، وأنه يتعذر أن يوجد فى كلام أصناف الخلق مثلها فى الاحكام والاتقان ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان وحال من الأحوال ، ومتى ذكرت وبينت معانيها بيانا شافيا فانها تجمع كل ما يقوله الناس من المعانى الصحيحة ، وفيها زيادات عظيمة لا توجد فى كلام الخلق ، وهى محفوظة مما دخل فى كلامهم من الباطل ، وفيها من دلائل الوحدانية والنبوة والمعاد ما لا يوجد فى كلام احد من الناس ، ففيها أصول الدين المفيدة لليقين ، وهذا أمر يعرفه من تتبع الكتاب والسنة وعرف ما قاله الناس من أصناف الكلام فانه يرى من النقص والزيادة والاختلاف والتناقض العجب العجاب

فصل

ومن أعظم براهين الدين الاسلامى التى لا يمكن انكارها ولا المكابرة فى ثبوتها أنه حكيم محكم فى أصوله وفروعه ، لا فيه نقص ولا فساد ولا تناقض ولا اختلاف ، قال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ . فانظر الى اخباراته المتنوعة عما لله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال الحميدة على تنوعها وتصريفها فى كل أسلوب ومعنى من المعانى تجدها كلها متوافقة متصادقة دلت كلها على غاية الكمال الذى تقصر الأفكار عن تصور كنهه ، والالسن عن التعبير عنه ووصفه ، وأنه كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى عليه عباده ، وكذلك أخباره عن الآخرة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب وأصناف النعيم والعذاب ، وأخباره عن أنبيائه وقصصهم المختصرة والمبسوطة ، كلها متشابهة فى الحسن والصدق والاتفاق وعدم التناقض والاختلاف ، قال تعالى ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ ، وكذلك اذا نظرت الى الشريعة فى أصولها وفروعها ظاهرها وباطنها رأيت ما تأمر به كله خير واصلاح للقلوب والأرواح والأبدان ،

وكلها خيرات ومنافع ومصالح . وما تنهى عنه فهو بضـــد ذلك شر وضرر . واذا تعارضت المصالح والمفاسد قدم الشارع أهمها وأرجحها ، وهـذا من أعظم الآيات وأكبر البراهين . فتتبع الدين كله مسألة مسألة تجده على هذا الوصف المحكم المتقن الذى قصد به سعادة البشر فى معاشهم ومعادهم ، وأن يزول عنهم الشقاء والضرر ، قال تعالى ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ واذا أردت تحقيق هذا الأمر الكلى فانظر كل اصلاح موجود واقع من أحد من البشر سواء من الموافقين أو من المخالفين : إصلاح فى الأخلاق أوالآداب أو العلوم أو العمل أو الدنيا أو غير ذلك مما هو اصلاح ، انظر من أين مصدره ، ومن أى طريق وصل اليهم ، تجده بلا ريب من هذا الدين الكامل ، وان صبغه الأعداء بغير صبغته وغيروا وجهته فليقولوا عن شىء من الاصلاح أنه ليس من دين الاسلام ان كانوا صادقين ، كما أنه لا يوجد فساد وضرر وظلم وقبيح وسقوط الاودين الاسلام أبعد شىء عنه ، وهو يحذر عنه غاية التحذير

واذا أردت زيادة إيضاح لهذا فاعلم أن دين الاسلام أمر بكل ما فيــه ترقية للعقائد والأخلاق والآداب التى تكمل بها القلوب والأرواح وتحصل السعادة الكاملة ، ويأمر أيضا بكل ما يرقى الأمم من أصناف العلوم والأعمال النافعة ، فما من منفعة وخير دينى ولا دنيوى إلا جاء به وأرشد اليه وحث عليه بكل وسيلة ، فمن قام بالأمرين سعد فى معاشه ومعـاده ، وتم له الفلاح والصلاح والكمال المتنوع ، وسلم من كل شرّ وضرر ونقص عاجل وآجل ، ومن فقد الأمرين — الرقى الروحى والدنيوى — حصل له الشقـاء التام وخسر الدنيا والآخرة ، ومن اعتنى بالرقى الدنيوى المادّى وحده ولم يبن رقيه عـلى الحق والدين الصحيح فان مادّته كثيرا ما تكون هى مادة ضرره العاجل كما يشاهده البشر من أمم الحضارة المادية المحضة كيف وقع بهـا من

الهلاك والفناء والتدمير ما لم يوجد له مثيل ولا نظير ، وذلك بأيديها وأعمالها ، وهى مجدة كل وقت فى الاستعداد لاهلاك بعضهم بعضا واستعباد الأمم الضعيفة ، وهم مهددون بالحروب التى تقضى القضاء التام على هذه الحضارة المزعومة المزخرفة المزوقة بالأقوال الكاذبة والأفعال المزورة التى يظهرون أنها صلاح وإصلاح وهى عين الشر والضرر ، فلو أنها بنيت على الدين الحق الذى هو دين الاسلام ، وصار العدل والحكمة والرحمة روحها ، وطلب التقرب الى الله والقيام بعبوديته التى خلقوا لأجلها ، والاستعانة بالنعم الجسيمة على طاعة من أنعم بها ، واحترام حقوق البشر ، لو أنها كانت كذلك لسعد بها البشر سعادة لاشقاء معها ، ولحصلت لهم الحياة الطيبة واطمأنوا من الأخطار الفادحة ، والشرور المدلهمة المتنوعة ، والقوارع التى تنتابهم فى كل ساعة ، وسيعلم الذين ظلمو أى منقلب ينقلبون

فصل

قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ﴾ الآية . وقال ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمٰعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ فمن أعظم الأدلة على رسالة محمد ﷺ وأن دينه هو الحق أنه أمر بالايمان بجميع الرسل وبكل ما أوتوه من الله من الكتب والشرائع والحق ، مع تضمنه الاستسلام الكامل والاخلاص التام لله ، وهو مصدق لجميع الأنبياء ، وشريعته وكتابه مهيمن على الكتب والشرائع كلها شاهدا عليها وحاكما ومؤتمنا ، شهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة ، وقرر ما فيها من أصول الدين وشرائعه الجامعة التى اتفقت

عليها الرسل وهى صالحة لكل زمان ومكان ، وجاء بالأصول الكلية التى يهتدى بها جميع طبقات البشر الى مصالحهم . فهذا القرآن وهذه السنة كفيلان بذلك كفالة تامة

وقد تتبع المحققون المنصفون ذلك فوجدوا جميع أصول الاصلاح التام مذكورة وموضحة فى الكتاب والسنة ، منها ما هو منصوص عليه بعينه ، ومنها ما جعلت له القواعد والأصول التى لا يمكن تحصيل الاصلاح ولا حصوله الا بها . مثال ذلك على وجه التقريب أنها أصلحت العقائد الاصلاح الاكبر بمعرفة الله معرفة تفصيلية تملأ القلوب تعظيما وإجلالا ومحبة وتألها لله وإيمانا به ويقينا وإخلاصا ، وأصلحت الأخلاق والآداب بأمرها بكل خلق جميل ، كالصبر والعفة والحياء والكرم والشجاعة وحسن الخلق والعفو عن المسيئين والاحسان المتنوع الى جميع الخلق وصلة الأرحام والقيام بحقوق الأصحاب والجيران والمعاملين وجميع من بينك وبينه معاملة أو صحبة أو اتصال ، وأصلحت الأحكام الكلية والجزئية بالأمر بالقسط والعدل فى حق الكبير والصغير والقوى والضعيف ، والنهى عن الظلم من كل وجه ، وقمعت المجرمين والمفسدين بالحدود المناسبة للجرائم بحسبها ، وكفلت الحياة الزوجية والمنزلية بايجابها للحقوق المتنوعة التى لا تتم الراحة والحياة الطيبة إلا بها ، وأصلحت السياسة وتدبير الأمة بالأمر بالشورى والحث عليها ، والأمر برد الأمر الذى تخشى عواقبه الى أهل الحل والعقد لينظروا فيه ويقرروا ما ثبتت مصلحته ويدفعوا ما ظهرت مفسدته ، وبالأمر بالاستعداد الممكن والتحرز التام من كيد الاعداء والتحصن من أضرارهم ، وبقوة الايمان بالله والتوكل على الله فى دفع الأعداء ومقاومة جميع الشرور ، مع الصبر والطاعة لأولى الامر ، ونهت عن كل ما ينافى ذلك من التفرق والتعادى والكسل والخور والجبن واختلال النظام الطيب ، كما أمرت أن ينتدب لكل أمر مهم من جمع بين الكفاءة

والأمانة ، وكما أمرت بالمعاهدات السلمية النافعة الدافعة ، وأمرت بالوفاء وأداء الأمانة والصدق فى كل معاملة عامة أو خاصة ، وبمكافأة المحسنين من كل أحد على قدر احسانهم قولا وفعلا ، وأمرت بالتوسط فى الامور كلها ، ونهت عما يضادّ ذلك من غلو وتقصير ومن إسراف أو تقتير ، وأباحت كل طيب من مآكل ومشارب وملابس ومناكح وغيرها ، وحرمت كل خبيث منها

ومما يبين هذا أن دين الاسلام كلما نظر فيه الناظر وناظر عنه المناظر ظهرت براهينه وقوى يقينه وازداد نوره وقوى به ايمان المؤمنين ، واذا قابله ما يضاده من كل باطل ظهر فساده وقبحه وبناؤه على ظنون وشبهات لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وظهر الكذب فى أخباره والباطل فى أحكامه ، فان الحق والباطل ضدان ونقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان قال تعالى ﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴾ وهذا النوع الذى هو الاستدلال بنفس ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وأنه آيات وبراهين على رسالته وصحة ما جاء به أبلغ بكثير من دلالة المعجزات الظاهرة المتنوعة ، فان هذا برهان عظيم يخضع له جميع العقلاء ، ولهذا كان فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى هذا الدين بيان ما يدعو اليه وما يأمر به وينهى عنه ، كما استدل الصحابة رضى الله عنهم بذلك عند ملك الحبشة لما دعاهم وسألهم عما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنه كان ينهى عن عبادة الأوثان ، وعن الفواحش والظلم وقطيعة الأرحام ، وأنه يأمر بعبادة الله وحده وبصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، وبالزكاة والصلاة والصيام فصدّقهم بذلك واعترف برسالته وآمن به ، وكذلك هرقل ملك الروم الذى هو من أعلم النصارى فى وقته لما جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام سأل أبا سفيان بن حرب ومعه قومه عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بها فأقر واعترف أنها صفات الأنبياء ، وأن من هذا وصفه فلا بد أن يظهر دينه ،

فقال هرقل لأبي سفيان فى جوابه عن أسئلته : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها ، وسألتك هل قال أحد قبله هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت هذا رجل يتأسى بقول قيل قبله ، الى أن قال وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل أى فى أول دعوتهم لمخالفتهم لأغراضهم ، ولا ينافى بعد ما يقوم دين الرسل اتباع الأشراف له كما هو الواقع ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أرتد أحد سخطة عن دينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . فذكر من علامات النبوّة زيادة الايمان وزيادة الداخلين فيه ومحبة أهله له وايثارهم إياه على كل ما سواه إذا ذاقوا حلاوته وخالط نوره قلوبهم . وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فعرف بهذه الخصال أنه رسول الله ، فانها من أبلغ الأدلة وأجلى البراهين على ذلك وكذلك ملك مصر وغيره من الملوك الذين عرفوا صحة نبوته وكمال دينه بكمال ما يدعو اليه من كل خلق حميد وفعل سديد وعمل رشيد ، ونهيه عما يضادّ ذلك أو يكون فيه ضرر على العبيد

فصل

قال تعالى ﴿ بل جاء بالحق وصدّق المرسلين ﴾ وأخبر فى عدة آيات عن هذا المعنى ، وهذا من أكبر براهين رسالته ﷺ ، فان جميع النبوات لا يمكن

إثباتها بطريق من الطرق العلمية إلا بعد إثبات نبوة محمد ﷺ ، فمن زعم أنه مصدّق ومتبع لأحد من الأنبياء كموسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء الكرام مع تكذيبه لمحمد ﷺ فانه يقال له بأى طريق وأى برهان أثبتّ به نبوة هذا الذى آمنت به ، فانه لا يذكر طريقا ودليلا على ما يقول إلاومثله وأعظم منه يدل على نبوة محمد ﷺ ، فان طرد دليله لزمه حتما أن يعترف بمحمد ﷺ ، وان قال اثبتُّ بهذا الدليل نبوة الرسول الذى آمنت به دون إثباتى به نبوة محمد ظهر عناده ومكابرته واتباعه هواه ، وأن تكذيبه لمحمد ﷺ فى الحقيقة تكذيب للرسول الذى يزعم أنه مؤمن به ، فاذا قال علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر الينا ، قيل لهم معجزات محمد ﷺ أعظم وتواترها أكثر والكتاب الذى جاء به محمد ﷺ أكمل وأمته أفضل وشرائع دينه أحسن ، وموسى شريعته مبنية على العدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل ومحمد صلى الله عليه وعليهم قد جمع فى شريعته بين العدل والفضل ، فكل برهان أيد به رسالة النبيين الكريمين فبراهين رسالة محمد ﷺ أكمل وأقوى وأجلى ، وكل شبهة وجهها أهل الكتاب على رسالة محمد ﷺ يلزمهم ما هو أبلغ منها فى توجيهها الى رسالة النبيين الكريمين ، فمن لم يؤمن بمحمد ﷺ لم يصح له ايمان بأحد من الرسل لا نقلا ولا عقلا ، فرسالته ﷺ أيدت رسالة المرسلين وصدقتها وثبتتها ، فاثبات الفرع بدون أصل محال وممتنع

فصل

ومن براهين الأديان ومحاسنها عموما وبراهين الاسلام ومحاسنه خصوصا أنها أخبرت عن أمور الغيب أخبارا مفصلة عظيمة ينتفع بها الخلق فى عقائدهم وإيمانهم ويقينهم وفى إصلاح أخلاقهم ، أخبارا تفيد القطع واليقين كالاخبار عن الله ونعوته وأفعاله وعن الملائكة والجن وعن اليوم الآخر والجنة والنار

وفرضت على الخلق اليقين التام بكل ما أخبر الله به وما أخبرت به رسله ، وأن يقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه ، وبين لهم أنه لا طريق لهم الى معرفة كنه ذلك وحقيقته ، ونهى عن التكلف بطلب معرفة كنه ذلك وأنه لا سبيل للبشر اليه فى هذه الدار التى هى دار الابتلاء والامتحان ودار العمل ، فان مقصود الايمان بالله وبكتبه ورسله لا يتم الا بالايمان بالغيب وتسليم أمور الغيب وتفاصيلها الى ما ذكره الله فى كتابه وأخبر به رسوله ، فان الكتاب والسنة يحويان من أمور الغيب ما لا يوجد ما يقاربه فى جميع العلوم المأثورة عن الأنبياء ، وبالوقوف على ذلك وعدم تعديه يحصل المقصود من التكليف والامتحان بالشرائع ، ولو صار الغيب مشاهدا ومعروفا للناس فى هذه الدار زال هذا المقصود الأعظم ولم يحصل الايمان الاختيارى المثمر للسعادة الأبدية ومهما ارتقت معارف البشر فى علوم الكون فلن يصلوا الى معرفة حقيقة هذا الغيب ، قال تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ وبهذا يعرف أن أمور الغيب خارجة عن طور المحسوسات ، وأنه لا سبيل للعقول الى التوصل لادراكها ، وأنه يجب التسليم التام فيها الى الشارع بلا قيد ولا شرط . وبهذا نعرف أن من شرط فى الايمان بهذا النوع أنه لا بد أن يدخل فى علوم البشر وفنون المعارف الكونية والمادية فهو فى الحقيقة لم يؤمن بالأنبياء وبما أوتوه من الله ، ونعرف بذلك غلط المجارين للماديين من العلماء العصريين واعتذارهم بان قصدهم التقريب للامور الغيبية من الأمور المادية المدركة بالحواس اعتذار فيه خطل وغلط كبير ، فان الماديين الذين لا يؤمنون بغير المادة والطبيعة هم منكرون للرب ولرسله ولليوم الآخر فالواجب التكلم مع أمثال هؤلاء فى براهين التوحيد والرسالة والمعاد ، وبراهين وجوب تصديق الأنبياء فى كل ما أخبروا به ، وفيه من الأضرار أنه يضر المسلمين ولا ينفع فى مجادلة المعطلين ، أما ضرره فى حق المؤمنين فانه يضعف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله اضعافا ظاهراً ، فان من

لا يقنع بخبر الله وخبر رسله فى أمور الغيب حتى يقوم عنده وبزعمه دليل عقلى على ذلك فهذا فتح لباب الاستغناء عن الرسل ومشابهة لمن قال الله فيهم ﴿ لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ فكل من لم يؤمن بالرسول ايمانا تاما سواء قام عنده دليل عقلى أو حسى على ما قاله الرسول أو لم يقم فليس بمؤمن ايمانا صحيحا . وأما المنكرون المعطلون فالدخول معهم فى هذه المباحث والانهماك فى تمثيل أمور الغيب بأمور المادة معهم إغراء لهم على لزوم ما هم عليه من الانكار ، لأن هذا الذى يزعم أنه ينصر الدين نهاية ما يصل اليه أن يجعله تابعا لعلومهم ، وقد خالف إجماع المسلمين والسلف الماضين فانهم أجمعوا على أن أمور الغيب يجب على الخلق فيها أن ينتهوا فيها الى ما عرفهم الله منها وما عرفهم رسوله ، وأن يكونوا بذلك موقنين ، وأن لا يتكلفوا معرفة الوقوف على الكنه والكيفية والتفاصيل الخارجة عن خبر الله وخبر رسوله ، وانما الواجب أن يجعل الكتاب والسنة أصلا والعلوم العقلية والطبيعية والكونية تابعة ، وبذلك يحصل الايمان الصحيح ويعلم أن جميع العلوم تابعة له وأنه لا يرد شىء من العلوم الصحيحة مناقضا للكتاب والسنة بل جميع الحقائق الصحيحة والعلوم الناضجة والمعارف التى اتفقت عقول العقلاء عليها كلها تابعة وخاضعة لعلوم الدين ، وقد تتبع المحققون ذلك مسألة مسألة فوجدوها كلها كذلك والله أعلم

ومن غرائب الجهل الفاضح حصر كثير من الماديين السنن الالهية التى يسمونها سنن الطبيعة فى نوع مادى محض يدخل تحت علومهم وإدراكاتهم التى هى فى غاية القصور ، وأنها كلها مندرجة تحت التفاعل بين المواد والجواهر الكيماوية والتجارب المكررة ، وبهذا الطريق الجهلى لا العلمى نفوا أمور الغيب ونفوا معجزات الأنبياء ونفوا تغيير البارى للأسباب عن نظامها الذى يعرفون

وهذا من أعظم مضار الجهل وقبائحه ، وقد دلت البراهين اليقينية والكتب السماوية كلها بل والمحسوسات والمشاهدات التى لا يمكن إنكارها على أن لله سننا متنوعة ، وأن عناصر العلم العلوى والسفلى منقادة لارادة الله وحكمته وعلمه المحيط ، وأنه يجرى المقادير والحوادث على سنن حكيمة متنوعة ، فقد تعقل أسبابها وقد لا يعقل من العباد أسبابها إلا من ارتضاهم الله لرسالته واختصهم بوحيه فيطلعهم على ما شاء منها كما أشهد عباده ما فعله بأنبيائه وأتباعهم من أصناف الأكرام والنجاة الدنيوية ، وكما فعل بأعدائه من العقوبات المتنوعة ، وجميع معجزات الأنبياء وبراهين رسالاتهم من سنن الهية ونوع غير النوع الذى تجرى عليه الأمور العادية وآثار الأعمال ، وكما جعل الأدعيـــة من أكبر الأسباب لحصول المطالب ودفع المكاره وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم وفلق البحر لموسى وقومه فأخذوا منه طريقا للنجاة وسلكه فرعون وجنوده فأدّى بهم الى الهلاك ، وكما جعل على يد عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وشق القمر آية لنبيه محمد ﷺ وكلمته الجمادات وحصل علـــى يديه من المعجزات المتنوعة أمور كثيرة لا يمكن إحصاؤها ليعرف العبــــاد أنه على كل شىء قدير ، وأنه حكيم عليم ، وأنه اذا اراد شيئا قال له كن فيكون

فصل

قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكـــر إن كنتم لا تعلمون ، بالبينات والزبر ﴾ وغيرها من الآيات الدالة على أن ما أتى به محمد ﷺ من أصول الدين والشرائع العامة هو ما جاءت به الرسل ، وأنه متقرر ذلك عند كل عارف منصف من أهل الكتاب ، وهذا من البراهين على أنه رسول الله حقا ، فالكتب السابقة والرسل متفقة على الأمر بعبادة الله وحده والنهى

عن الشرك به وعلى أن الدين عند الله الاسلام المحتوى على الأمر باخلاص الدين لله والصدق والعدل وبر الوالدين وصلة الأرحام والنهى عن الظلم والفواحش والمحرمات القولية والفعلية ، ومتفقة أيضا على أن جميع الرسل بشر لا ملائكة ، وأن ما جرى لهم مع أممهم من التكذيب وانكار دعوتهم وتنويع الأقوال فيهم وكانت لهم العاقبة فى الدنيا والآخرة جرى أعظم منها لسيدهم وإمامهم محمد ﷺ ، ومتفقة على أن محمدا موصوف بما وصف به الأنبياء من جميع الكمالات اللائقة بالرسل ، وله منها أكملها وأتمها ، وقد تواترت البشارات والشهادات بنبوة محمد ﷺ ، وقد ذكرها أهل العلم بألفاظها ومعانيها من الكتب السابقة وشهادة المنصفين من علمائهم الراسخين حتى من لم يسلم منهم ذكر أهل العلم من شهاداتهم واعترافهم بالنقول الثابتة شيئا كثيرا لا يمكن حصره والله أعلم

فصل

قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ الآية . من براهين رسالة محمد ﷺ وأن دينه هو الحق النعوت والأوصاف التى من الله بها على أمته واختصهم بخصائص ، وفضلهم بفضائل لم تكن لغيرهم ، فان من وقف على أحوال الأمم تماما عرف يقينا أن أمة محمد ﷺ أعظم الأمم عقولا وأفهاما ، وأتمهم معرفة وبيانا ، وأحسن قصدا وديانة واخلاصا لله وتحريا للصدق والعدل وأنه لم يحصل فى النوع الانسانى أمة أكمل منهم ولا ناموس من الناموس الذى جاء به نبيهم ، وقد جمع الله لهم طرق المعارف الانسانية كلها ، فان العلوم والمعارف تنال بالوحى والوحى الذى جاء به نبيهم أكمل شريعة طرقت العالم ، والعلوم النبوية لم تدع أصلا ولا فرعا الا فيها بيانه ، ولا أبقت شيئا يحتاجه العباد إلا وضحته ، وتنال المعارف والعلوم أيضا بالحس والعقل والفطرة

ولهذه الأمة منها أكملها وأصحها ، وعلومهم كلها تحتوى على توضيح جميع الحقائق النافعة ، وتشتمل على هداية الخلائق لما يحتاجونه . هذا مع مالهم من الأخلاق والآداب العالية والمناقب الكاملة والتفوق فى كل خصلة حميدة ، وهم إنما نالوا ذلك كله وحصل لهم من جهة رسولهم ودينهم ، فالرسول والدين الذى هذه آثاره فى أمة محمد ﷺ فى علومهم وأعمالهم وأخلاقهم وجميع أوصافهم هو رسول الله حقا ، ودينه الحق صدقا ، فالآثار تدل على المؤثر . ولما كانوا فى القرون الفاضلة وصدر الاسلام على هذا الوصف ترتب على الكمال الروحى والرقى فى الدين والأخلاق الرقى الدنيوى ، اذ خضعت لهم الأمم وأخضعوهم بالعدل لا بالظلم ، وبالرحمة والحكمة لا بالقسوة والطمع والجشع واختلال النظام ، فلما تناقصت الأمور وضعف تمسكهم الحقيقى بالدين تبع ذلك التدهور وتسلط الأمم الأجنبية ، وهذا أيضا من الآيات ، وهو أن الرقى المطلق فى كل شىء روحى ومعنوى وما يتبعه من القوة تبع لاتباع ما جاء به دين الاسلام من العلوم والهدى والرشاد والاصلاح فى كل شىء والعكس بالعكس

فصل

قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ وهذا شامل لتكفله تعالى بحفظ ألفاظ القرآن ومعانيه ، وهذا من أعظم براهين الدين الاسلامى ، فان هذا الحفظ الذى تكفل الله به قد تقرر عند الخلق لهذا الكتاب العظيم ولمعانيه ولاحكامه الكلية ، فالقرآن نقله المسلمون ، نقلوا ألفاظه ومعانيه نقلا متواترا قرنا بعد قرن ، يحفظه المسلمون حفظا يستغنون به عن المصاحف ، كما ثبت فى صحيح مسلم مرفوعا «ان ربى قال لى انى منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا» يقول ولو غسل بالماء من المصاحف

لم يغسل من القلوب كالكتب المتقدمة ، فأنها لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلا متواترا ، ولم تكن محفوظة فى الصدور ، والقرآن كان محفوظا فى الصدور نقـــلا متواترا حتى لو أراد مريد أن يغير شيئـــا من المصاحف وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غير المصحف لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف وأنكروا ذلك . ومن خصائص المسلمين أن لهم الأسانيد المتصلة بنقل العدول الثقات لدقيق الدين وجليله ، وكليـــات دينهم وضرورياته من الواجبات والفرائض والمحرمات ، قد نقلت بالتواتر واشترك فى علمها العالم والجاهل والصغير والكبير . وأمة محمد ﷺ إجماعهم حجـــة قاطعة ، فلا تجتمع ولله الحمد إلا على الحق فى باب الأخبار وفى باب الأحكام ، وفيهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى العلماء الربانيون الذين تضمحل عـــلوم غيرهم اذا نسبت لعلمهم ، قد جمع الله لهم أصناف المعارف وفنون الكرامات وزكاهم بالاخلاق الفاضلة وأنواع الكمالات

فصل

قال الله تعالى ﴿ الله خالق كل شىء وهو على كل شىء قدير ، أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون وكل شىء عنده بمقدار وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ قالت الملائكة والرسل أفضل الخلق وأعلمهم ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ . من كمال هذا الدين وعظمته وإحاطته وأن القرآن ما فـــرط الله فيه من شىء وأنه تبيان لكل شىء قد تقدم فى الفصول السابقة ما يشتمل عليه من علوم التوحيد والعقائد الصحيحة والأخلاق والآداب الكاملة والكمال المطلق الذى لا يقال فيه لولا ولو ما وأنه المسيطر على الحق والصدق بحيث لا يعـــارضه معارض الا اضمحلت معارضته ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأن العلوم العقلية والنقلية والحسية الصحيحة محـــال

ويمتنع أن ترد بما يخالف هذا الدين بوجه من الوجوه ، وفى هذه الأوقات توسعت المخترعات وتوسعت علوم الطبيعة والرياضيات وشاعت بين أهل الفلسفة كثير من النظريات التى تشبه الفوضى وكثر تعظيم الملحدين وتقليدهم فى منتهى نظرياتهم التى بنوها على ظنون وتخرّصات وقياسات وتجارب يكثر خطأها ، وهم فى تلك النظريات مضطربون حائرون بل هم فيها متناقضون ، ومن وقف على نظرياتهم الخاطئة أخذه العجب من كثرة اضطرابها وتناقضها ، ويرى فريق منهم رأيا ثم يأتى فريق وينقضه ويثبت له نظرية غيرها ، ثم يأتى غيره ويبطل نظريته وحدسه . ومن العجب أنه لم يتفق منهم أحد على نظرية واحدة ، تخالف مادل عليه الكتاب والسنة ، وغاية ما يصل اليه الملحدون المنكرون المعطلون وصولهم الى علل بعض الموجودات أوما يسمونه أسبابا أو مواد أو اصولا ، فمتى وصلوا اليها بعد الكد والتعب واتعاب الأفكار ظنوا أنهم وصلوا الى جميع علل الموجودات وأنه ما بعد ذلك شىء ، فأنكروا الخالق واستولت عليهم الطبيعة ، وعند التحقيق تجد هؤلاء القوم وان مهروا فى علوم الطبيعة وحذقوا فى الرياضيات فمنتهى ما وصلوا اليه من العلم الصحيح فى هذه الأشياء هو من جملة مخلوقات الله الذى خلق جميع العالم العلوى والسفلى بنظام وحكم تقصر عقول الخلائق عن الاحاطة بحكمة الله فيها ، وكلما أمعن الفكر الصحيح فى حكمه وحسن نظامه رأى من كال النظام واقتران الأسباب بمسبباتها والعلل بمعلولاتها ما يدله على الخضوع لله والانكسار لعظمته ، ولكن هؤلاء ما زادهم هذا النظر الا عتوا ونفورا ، والسبب الذى اداهم الى هذا معروف وهو استكبارهم عن الحق واحتقارهم للخلق وانهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات فى المسائل والدلائل والبراهين اليقينية فرحوا بما عندهم من العلوم الطبيعية التى لا ترقى القلوب والأرواح ولا تزكى الاخلاق ، فقصور هؤلاء واقتصار علومهم وانتهاؤها الى ما ذكرنا من بعض علوم الطبيعة وعجبهم

بأنفسهم هو الذى صيرهم الى هذا الالحاد . هذا فى علومهم الصحيحة ، وأما النظريات المخالفة للكتاب والسنة فلم يتفقوا ولله الحمد على نظرية واحدة منها بل تجدهم فيها متناقضين يردّ بعضهم على بعض ، وهذا شأن الباطل ﴿ بل كذّبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج ﴾ وأما جميع الحقائق التى دلّ عليها دين الاسلام فهى كلها حق وصدق ، ثابتة لا تغيرها الأوقات ولا تقدح فيها الشبه ، بل كلما عورضت ظهر من حقها ونورها وبرهانها أمر عظيم يبين أنها من عند من هو بكل شىء محيط ، ويبين أن جميع الحقائق الثابتة الصحيحة مندرجة فى ضمن الدين الاسلامى

فصل

ومن براهين شريعة دين الاسلام أنها الشريعة التى جاءت بالعدل والقسط بين الناس فى جميع الحقوق والمعاملات المتنوعة ، وندبت وحثت على الاحسان والفضل ، كما قال تعالى ﴿ وأقسطوا ان الله يحب المقسطين ﴾ وقال ﴿ والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ ، ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ﴾ ، ﴿ ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ﴾ فهذا أحسن شرع وأجمله ، يرغب فى الصبر والعفو والاصلاح بغاية الترغيب ، ويذكر ما فيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة ، ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام ، ويبين أنه لا حرج عليه ولا سبيل اذا انتصر بعد ما ظُلم ، ويذكر الحق الواجب اللازم ثم يقول ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ فيذكر العباد أن يجعلوا للفضل والاحسان فى معاملاتهم موضعا ومحلا

لينالوا بذلك حسن الجزاء ، ويتصفوا بأكمل الاخلاق ، ويتودّدوا الى من بينهم وبينهم علقة حق من أى وجه كان ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون

فصل

قال شيخ الاسلام والمسلمين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية وسيرة الرسول ﷺ من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمته من آياته وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالحى أمته من آياته . وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد الى أن بعث ، ومن حين بعث الى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله ، فانه كان من أشرف أهل الأرض نسبا من صميم سلالة ابراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي من بعد ابراهيم إلا من ذريته ، وجعل له ابنين اسمعيل واسحق ، وذكر فى التوراة هذا ، وهذا وبشر فى التوراة بما يكون من ولد اسمعيل ، ولم يكن فى ولد اسمعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره ، ودعا ابراهيم لذرية اسمعيل أن يبعث فيهم رسولا منهم ثم من قريش صفوة بنى ابراهيم ثم من بنى هاشم صفوة قريش ومن مكة أم القرى ، وبلده البيت الذى بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ، ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم مذكورا فى كتب الأنبياء بأحسن وصف ، وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ممن آمن وكفر ، لا يعرف له شيء يعاب به لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه ، ولاجربت له كذبة قط ولا ظلم لاحد ولا فاحشة ، وكان خلقه وصورته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أميا من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه

أهل الكتاب التوراة والانجيل ، ولم يعرف شيئا من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدّع نبوة الى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبر بأمور لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثلها ولم يعرف قبله ولا بعده فى مصر من الأمصار ولا فى عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ، ولا من دعا الى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره . ثم انه اتبعه اتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذّبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا فى هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم ، والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم اياها ، ولا كان له سيف بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذوا اتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدّون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة ، وكانت مكة يحجها العرب من عهد ابراهيم فتجتمع فى الموسم قبائل العرب ، فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافى وإعراض المعرض ، الى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذى تخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته ،فان أمره كان قد انتشر وظهر فى بضع عشرة سنة فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه الى بلدهم وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلا من الأنصار أسلموا فى الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أذن له فى الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أحسن طريقة وأكملها وأتمها من الصدق والعدل والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال

عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة ، وهو على ذلك كله ملازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب التى كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ولا معادا ، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا ماكان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء ، وهذه آثار علمهم وعملهم فى الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين ، وهو ﷺ مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الانفس والأموال مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولا متاعا إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير ابتاعها لاهله ، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله والباقى يصرفه فى مصالح المسلمين فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك ، وهو فى كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئا بعد شىء حتى أكمل الله دينه الذى بعث به وجاءت شريعته أكمل شريعة لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف الا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشىء فقيل ليته لم يأمر به ولا نهى عن شىء فقيل ليته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات لم يحرم شيئا منها كما حرم فى شرع غيره ، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحله غيره ، وجمع محاسن ما عليه الأمم فلا يذكر فى التوراة والانجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وملائكته وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر باشياء ليست فى هذه الكتب ، فليس فى تلك الكتب ايجاب لعدل ، وقضاء بفصل ، وندب الى الفضائل ، وترغيب

فى الحسنات ، إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه ، واذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك فى الحدود والأحكام وسائر الشرائع . وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، فاذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وان قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم ، وان قيس شجاعتهم وقتالهم فى سبيل الله وصبرهم على المكاره فى ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا ، واذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم ، وهذه الفضائل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذى أمرهم بها ، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومن بعد الحواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا لما غيروا دين المسيح فى دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح ، وأما أمة محمد ﷺ ، فلم يكونوا قبله يقرؤن كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والانجيل والزبور إلا من جهته ، فهو الذى أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله فقال ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ الآية و ﴿ آمن الرسول ﴾ الى آخرها .

وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئا من الدين من غير ما جاء به . ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله ، لكن ما قصه الله عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به ، وما حدثهم به أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا أنه باطل كذبوه ، ومن أدخل فى الدين ماليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس أو اليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الالحاد والابتداع ، وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول

الله ﷺ والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة المسلمين الذين لهم فى الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة . الى أن قال : ولما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته ، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمته أخذوه عن نبيهم مع ما يظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أن كل كمال فى الفرع فهو من الأصل المعلم ، وهذا يقتضى أنه كان أكمل الناس علما ودينا ، وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بانه كان صادقا فى قوله إنى رسول الله اليكم جميعا . انتهى ما أردنا نقله من كلام شيخ الاسلام ، فانه نفيس جدا

فصل آخر من كلام شيخ الاسلام

من (الجواب الصحيح) بسطه فلخصنا منه ما يلى :

لما ذكر الاحاديث الكثيرة فى آيات النبى ﷺ ومعجزاته وبراهين رسالته وما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة وما حصل بسببه من أصناف القدرة وأنواع الأفعال وإجابة الدعوات وغيرها قال : وعامة ما ذكرناه من آيات النبى ﷺ التى فى الصحاح هى من موارد إجماعهم المستفيضة عندهم التى يجزمون بصدقها ، ليست من موارد نزاعهم ، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء ، ويعلم خيرة أهله من كان خبيرا بهم . فهذه طريقان فى تصديق هذه الآثار التواتر العام والتواتر الخاص ٭ الطريق الثالث التواتر المعنوى وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف ، فان الناس قد يسمعون أخبارا متفرقة يشترك مجموعها فى أمر واحد . ثم مثل بالأخبار عن مشاهير الرجال المتقدمين والمتأخرين ثم قال : فهذه الأحاديث وأضعاف أضعافها هى أضعاف أضعاف ماينقل عن الواحد من هؤلاء المشاهير ، ونقلتها أجل وأكثر

وأفضل من نقلة هؤلاء ، وهى كلها تتضمن أن محمد بن عبد الله ﷺ كان يجرى على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة ما لا يعرف نظيره عن أحد من الناس ، وعِلمُ المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب بما ينقلونه عن آيات موسى وعيسى وغيرهما ، فان نقلة آيات محمد ﷺ غير القرآن أضعاف أضعاف نقلة التوراة والانجيل فضلا عن غيرهما من أخبار الأنبياء * ثم ذكر الطريق الرابع ، وأن كثيرا من هذه الآيات تكون بمحضر الخلق الكثير ، كتكثير الطعام يوم الخندق ونبع الماء من بين أصابعه يوم الحديبية وتكثير الماء والطعام فى غزوة خيبر وفى تبوك ، وكانوا ألوفا مؤلفة وكانوا يتناقلونها متفقين عليها مصدقين لها من غير انكار أحد منهم لذلك ، فعلم قطعا أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة * ثم ذكر الطريق الخامس ، وهو أن مصنفات أهل العلم من أهل التفسير والحديث والفقه والسير والتواريخ مشحون كل منها بذكر الآيات متواتر فيها ، ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقينى فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف ، وهذه الطريق وغيرها يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة وهذا أقل ما يكون ، ويستدل بها على تواتر جنس جنس كتواتر تكثير الطعام وتواتر تكثير الطهور والشراب ، وعلى تواتر نوع نوع منها كتواتر نبع الماء من بين أصابعه وتواتر إشباع الخلق العظيم من الطعام القليل ، وتواتر شخص شخص منها كتواتر حنين الجذع اليه وأمثال ذلك ، وكلما أمعن الانسان فى ذلك النظر واعتبر ذلك بأمثاله وأعطاه حقه من النظر والاستدلال ازداد بذلك علما ويقينا ، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة ، فليس فى الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك ، وما من حال أحد من الأنبياء والملوك والعلماء والمشايخ المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته إلا والعلم بأحوال

محمد ﷺ أظهر من العلم به وأبين ، ونقله أكمل وأتم ، وهذا مما يبين أنه ليس فى الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة إلا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الأمر تحقيقا لقوله ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه ، وذلك انما يتم بما ينقل عن محمد ﷺ من آياته التى هى الأدلة ، وشرائعه التى هى المدلول المقصود بالأدلة ، فهذا قد أظهره الله علما وحجة وبيانا على كل دين كما أظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين ، كما أنه مامن دليل عقلى يستدل به على مدلول إلا والأدلة على آيات الرب أكثر وأكثر * ثم ذكر الطريق السادسة أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة فى آياته وبراهينه المنقولة فى الأخبار وجردوا لذلك كتبا وذكر طائفة منها ، إلى أن قال : والمقصود هنا أن تواتر أنواع آياته المستفيضة فى الأحاديث أعظم من تواتر أمور كثيرة هى متواترة عند الأمة أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث ، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة من القرآن ، فان تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط فى غير هذا الموضع ، حتى بيّنوا أن ما فى القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات ، وهذان غير مافى كتب أهل الكتاب من الاخبار به ، وهذه الأجناس الثلاثة غير مافى شريعته التى بعث بها وغير صفات أمته وغير ما يدل من المعرفة بسيرته وأخلاقه وصفاته وأحواله وهذا كله غير نصر الله وإكرامه لمن آمن به ، وعقوبته وانتقامه ممن كفر به ، كما فعل بالأنبياء المتقدمين ، فان تعداد أعيان دلائل النبوة مما لايمكن بشرا الاحاطة به ، اذ كان الايمان به واجبا على كل أحد فبين الله لكل قوم بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين ، كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول . وأطال الكلام ، فمن

أراد بسط هذه المواضع فليرجع اليه فى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) فانه بسط فيه الكلام وشرحه شرحا تاما رحمه الله ؟

فصل

قال الله تعالى ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾. وقال تعالى ﴿ وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾ والآيات فى هذا كثيرة ، وهذا من أعظم براهين الدين وأنه كله حق وأن مسائله الأصولية والفروعية حق ومحتوية على الحق ، وأن دلائله وبراهينه تهدى السبيل وتوضح الحقائق ، وأن النقل فيه هو أعلى درجات الصدق ، خبر الله وخبر رسوله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى . وقد تواتر نقل كتاب الله تواترا لا نظير له بحيث نقلته الأمة كلها كل قرن أدّاه الى القرن الذى بعده محفوظا لا تغيير فيـــه بوجه من الوجوه ، وتواترت عن النبى ﷺ أصول الدين كلها والشرائع الكبار ، والنقلة أصدق الخلق وأعظمهم تحريا للصدق وأبلغهم معرفة بطرق الصدق من الكذب ، ولهم من العناية التامة فى معرفة الصحيح من الضعيف والحق من البـــاطل والخبرة والمعرفة ما لا يقاربهم فيه أحد ، فهذا نقل هذا الدين ، وأما نظريات هذا الدين فكلها حقائق ثابتة حقة اتفق عليها النقل والعقل الصحيح ، فجميع الحقائق الثابتة فى دين الاسلام لا يستريب أهل العقول الصحيحة فى صحتها ، ومن ظن سوى ذلك بين بالأدلة الصحيحة فساد نظره وعقله . ومن تتبع هذا الأصل فى جميع موارده ومصادره فى أصول الدين وفروعه وتأمله حق تأمله عرف بذلك عظمة هذا الدين وأنه الحق فى مسائله وبراهينه ، وأنه محـــكم متقن لا اختلاف فيه ولا تناقض ، بل يصدّق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، ومن امترى فى هذا أو

كابر فليأت بمثال واحد من حقائق هذا الدين يخالف هـــذا الأصل ، ولن يستطيع الى ذلك سبيلا . وأما الأمور المناقضة لهذا الدين فانهـــا إما نقول كاذبة ، وإما نظريات خاطئة . واعتبر هذا بجميع النظريات التى راجت فى هذه الأوقات فى التكلم عن سلسلة الموجودات بمجرد الخرص والقياسات المختلة والتجارب التى تطرد ثم تنقض ، هل تجد فيها نظرية واحدة استقر عليها رأى جميع العقلاء ، بل يقولها المبتدىء لها ظنا واستنباطا ويتلقاها المقلدون له المعظمون له لا عن بصيرة ، ثم يأتى من بعدهم فيفندها ويحدث له نظرية من هذا القبيل ، وهكذا تنتهى بهم هـــذه الأفكار الى المكابرة والسفسطة ، وهذا شأن كل ما خالف الحق ، قال تعالى ﴿ بل كذّبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج ﴾ وهذه النظريات التى ابتكروها والتحليلات التى ابتدعوها وعارضوا بها ما جاءت به الرسل من البراهين القطعية من أكبر ما يدل على جهلهم البليغ ومكابرتهم للمعلومات ، وهى من أكبر الأساسات التى تعود على علومهم بالابطال ، فان من بعدهم يأتى على نظرياتهم التى اذا وجه اليهـــا أدنى نظر فيبطلها فلا يبقى للعلوم قيمة ولا للحقائق الصحيحة قدر ، وتصـــير المعلومات فوضى تقذف بها زبد الأفكار ولا يستقر لها قرار ، وهذا معروف بالتتبع والاستقراء . أما حقائق ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم من أصول الدين وفروعه فانها ثابتة الأصول محكمة ، دلت عليها البراهين القطعية المتنوعة ، ووجه الله عقول العقلاء وذوى الألباب والبصائر الى النظر فيها ، فازدادت بها معارفهم ورجحت عقولهم ، واطمأنت قلوبهم بما عرفوا من الحق ، وعلموا علم اليقين إجمالا وتفصيلا أنّه مستحيل أن يرد الشرع بما يخالف العقل وينافيه أو توجد المحسوسات والمعقولات مناقضة لما أخبر الله به فى كتابه ، وأخبر به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى هيمنت شريعته على جميع الشرائع واحتوت على جميع الحق الذى فيها وأبطلت ما حرّف منها وزيد ونقص ، وصدّقت جميع المرسلين ، وصار أكبر طريق حصل به تصديق

الرسل وصحة رسالتهم هو ما جاء به إمامهم وسيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وتَبَيَّنَ لكل عارف منصف أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق فى أخباره وأحكامه ، فكما أن جميع أخباره صدق وحق ويقين ، فأحكامه كلها حق وعدل وقسط وصلاح للدنيا والدين ، قال تعالى ﴿ وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا — ومن أصدق من الله حديثا — ومن أصدق من الله قيلا — ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ والحمد لله الذى جعل كتابه وشريعته هدى من الجهالات ، وشفاء من أمراض الشكوك والشبهات والشهوات ، ورحمة تحصل بها جميع الخيرات ، وتبيانا لكل شىء يحتاجه البشر فى الأمور الجليات والخفيات

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

قال ذلك وكتبه الفقير الى الله فى كل أحواله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين . ببلدة عنيزة من الديار النجدية فى ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٧

فهرس

صفحة

صفحة

تمَّ

﴿والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات﴾

للمؤلف :

تنزيه الدين وحملته ورجاله

مما افتراه القصيمي في أغلاله

هو كتاب للمؤلف تم طبعه ونشره في العام الماضي رد به على كتاب (هذي هي الاغلال) الذي صنفه عبد الله بن علي القصيمي ، ونبه على ما فيه من نبذ الدين والدعاية الى نبذه والانحلال عنه من كل وجه

وهو في ٤٨ صفحة

وقد طبع على نفقة وجيه الحجاز وفاضلها

الشيخ محمد نصيف

للمؤلف تحت الطبع :

الحق الواضح المبين

فى شرح توحيد الأنبياء والمرسلين

من (الـكافة الشافية) للامام شمس الدين ابن القيم

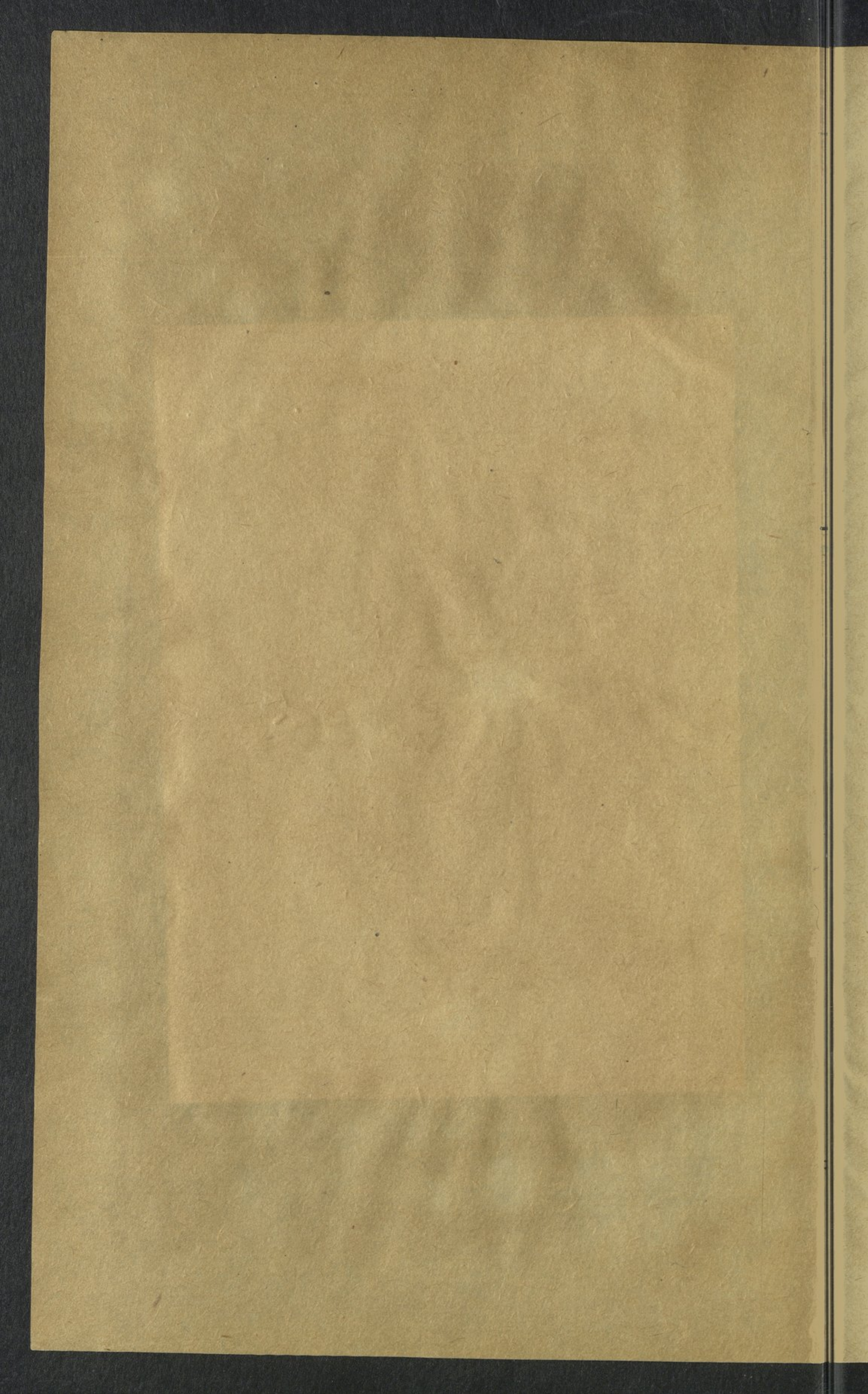
هو شرح متوسط استوفى أغراض الناظم وأبان عن مقاصده

وسيصدر عقب هذا ان شاء الله

توضيح (الـكافية الشافية)

فى الانتصار للفرقة الناجية

أوضح فيه معانى نونية الامام شمس الدين ابن القيم قدس الله روحه ، وهو عديم النظير فى استيفائه لأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعطلة والملحدين ، بالنقول الصحيحة والأصول السلفية والقواعد الصريحة




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت